أدب الصحبة بين النساء

بقلم:
خولة درويش

دار المحمدي

٢١٠٫١٤
دخُ ١

أدب الصحبة بين النساء

بقلم:
خولة درويش

دار المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

جدة - حي الجامعة شارع عبد الله السليمان

هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤

ص. ب ٩٣٤٧ جدة ٢١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله الذي كرم بني آدم وجعل الناس شعوباً وقبائل ليتعـارفوا ، الحمد لله الذي أولى الصاحب وصية خاصة به بقوله جل شأنه : ﴿**والصاحب بالجنب**﴾ [النساء : ٣٦]

والصلاة والسلام على رسوله الذي جعله هادياً للناس بشيراً ونذيراً. والقائل يوصي بالصحبة المؤمنة خيراً :«**خير الأصحاب خيرهم لصاحبه**» (١)

وبعد :

أمسكت بالقلم على وجل وأنا أسائل نفسي: ماذا عسى أن أقدم وليس في جعبتي إلاالقليل ؟ وهل قمت أنا بكل ماللصحبة من حقوق ؟ وهل أتأدب بالأدب الذي أدعوله لأكون من الذين يقولون مايفعلون ؟

حسبي أنني سأبذل جهدي ، والحمد لله الرحمن الرحيم الذي لا يكلف نفساً إلاوسعها .وما لا يدرك كله، لايترك جله .

لقد جاء طلب دارالمحمدي بناء على رغبة أخوات فاضلات كن يلححن في أن أحادثهن على صفحات الورق حول أدب الصحبة ، وخاصة أن موضوعات الصداقة قد كتب للرجال فيها كثير .

وكنت أظن أن كتاب ـ الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة ـ قد يفي بالحاجة ويؤدي الغرض إلاأن الأمرسار على غيرمانريد .

ولما كان للموضوع أهميته : فالصاحبة هي الجليسة في الحضر والرفيقة في السفر. إنها أعم من أن تكون قريبة أو زميلة أو جارة أو صديقة .....

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم/ صحيح الجامع الصغير ١/٦٢٠.

وهل تكون صداقة حقة وصحبة طيبة والمرأة خاملة تأخذ ولاتعطي ؟ تنال حقها ولاتقوم بواجبها ؟

لن تكون صداقة من طرف واحد . فهي ثمرة جهد طويل ، وقلب متفتح لحب الأخريات . ويد تعمل الخير، ونفس تكن لهن الوداد .

إننا بحاجة إلى وقفة تقويم لعلاقاتنا مع صاحباتنا ثم ضبطها حسب أحكام الشرع . فما هو حق الصحبة ؟ وكيف تدخل المرأة السرور إلى صديقاتها مع وجود الضوابط الشرعية ؟

وما آداب الكلام التي ينبغي أن تحسنها لتدوم المودة ؟ وما موقفها عند ضجر صديقتها أو حزنها؟ وكيف تصلها بالزيارة الهادفة، وبالمراسلة وبالهاتف ؟ وكيف تحافظ على مودتها بالبعد عن كل مامن شأنه أن يضعف المودة، أويزيلها من شح وحسد ونشرللأسرار؟ وماموقفها عند الخصام سواء بينها وبين صاحبتها ؟ أوبين الصاحبات عموماً ؟ وإذا احتدم النقاش واشتد الجدال فماالحكم الشرعي ؟

للإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها كان هذاالكتاب .

وإنه لحديث شجي ، آمل أن يدفعنا لنشمر عن ساعد الجد، ولنجتهد في تطبيق أحكام الشرع. نأخذبه أنفسنا ونستحث عليه غيرنا . ثم ندعو الله كدعاء الصحبة المؤمنة إذ قالت : ﴿**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً**﴾ [الكهف: ١٠]

علنالانجد بعدها فتاة تغرق في العتاب واللوم والعذل ، لأنها ترجع إلى نفسها فتسألها: ماذا فعلت ؟ وبماذا قصرت ؟

ولن نسمع إمرأة تقول: أناليس لي حظ، لكل الناس صديقات إلاأنا ؟

والموضوع يخص آداب الأخوة في الإسلام .

وهو موضوع شائق وعظيم ، وعلى جميل التآخي تقوم المجتمعات الخيرة .

وفي تآخي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير زاد لأمتنا ، حيث

الإيثار والتضحية في أم القرى ثم في دار الهجرة .

والله أسأل أن يمتعنا بصحبة المؤمنات الصالحات في الدنيا والآخرة .

وأن يجمعنا بهن في الفردوس الأعلى ، إنه سميع مجيب .

الفصل الأول

آثار الصحبة بين النساء

١- ترابط الجماعة المسلمة

٢- صحبة الفضليات دواء وراحة للنفس .

٣- الصحبة السيئة شر داء

٤ـ الحب في الله من دعائم الإيمان.

٥- من صفات الصديقة الفضلى .

١. ترابط الجماعة المسلمة:

تميزت أمة الإسلام بقوة ترابطها ، ومتانة أواصرها ، أفراداً وجماعات ، منذ فجر الدعوة ، إذ كان الإيثار والتضحية من أعظم خصائص تلك الجماعات ومايزال الأمر كذلك ، كلما حاولت الأجيال اللاحقة أن تسير على خُطا من سبقهم .

وقد منَّ الله سبحانه على العرب بأن وحدهم بعد تفرق ، وجمعهم بعد شتات ليصبحوا بنعمة الله إخواناً قال تعالى :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران:١٠٣] .

نداء رباني يدعو إلى نبذأسباب الخلاف بين المسلمين ، ويمن عليهم بالتأليف بين قلوبهم وجمع كلمتهم .

فتعاون المسلمين واتحادهم واجب شرعي يحتمه الإنتماء لهذا الدين . وهو ليس واجباً لأن الظروف الحالية تقتضيه ، أو لأن المصلحة الوطنية تدعو إليه .....

إنه واجب مؤكد لنصرة هذا الدين ، ولاسيما وأعداؤنا لايألون جهداً في محاربتنا . ويتعاونون كافة لحربنا . ولاتزول خلافاتهم إلافي مجابهتنا . فهم يحكمون الخطط لعداوتنا . وكلما نفقت خطة اتحدوا وجدوا للبحث عن غيرها....

لقد عرفوا قوة هذا الدين فحاربوه على قدر قوته ، وفيه وحده يكون تضامن المسلمين ، وهو الدافع إلى وحدة هدفهم . وبالتالي فهو سبيل قوتهم .

كيف لا ، ومثلهم كالجسد الواحد كما جاء في الحديث الصحيح عن الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم : عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو فيه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » (١)

---

(١) متفق على صحته / شرح السنة ٤٦/١٣

بمثل هذا التلاحم انطلقت الجماعة المؤمنة الأولى على يد المربي الأول صلى الله عليه وسلم ....

والمعروف أن الجماعات المترابطة لابد وأن ترقى وتنتج أكثر من غيرها . وما اليابان إلا دليل على ذلك ، فقد استطاعت أن تبني نهضة تضاهي بها أكثر الأمم تقدماً . وليس لها من رصيد ثروة إلا أبنائها بجدهم وتعاونهم .

(فالطفل) عندهم ينشأ منذ نعومة أظفاره على أنه عضو في جماعة عليه أن يراعي واجبه نحوها .

وهذه ركيزة أساسية في عملية التطبيع الإجتماعي . تركز على التعاون والإحساس بمشاعر الغير، فينشأ الفرد بعيداً عن الإنعزالية ، ويشعر بالراحة النفسية تجاه تقدير المجتمع له ونجاحه فيه) (١).

هذا نموذج لمجتمع علماني لاديني ، تعاون واتحد مادياً ، فمابالنا لانسعى نحو وحدة الصف والتعاون، وديننا يحثناعلى ذلك صباح مساء ؟

ومالعصبية إلا جرثومة خطرة تقضي على الألفة والأخوة فنفَّر منها الإسلام وذلك بقول الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكروأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات/١٣].

كما ونفَّر من كل أسباب الفرقة والإختلاف ودعى إلى كل ألوان الوحدة والإئتلاف قال جل من قائل: ﴿**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ [الأنفال/٤٧].

إن شد المجتمع أزر بعضه فلا بد له من النهوض من عثرته ليتبوأ المكانة التي أرادها الله له . وإن زاد الترابط الخير بين أبنائه فلنستبشر بقطف ثمارجنية من صحوتنا المباركة .

وإن أصبح هوى الجميع فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرضوا به لهم قائداً وإماماً، زالت خلافاتهم . وتوحدت كلمتهم ، وكان لله سعيهم . وقوي

---

(١) التربية الحديثة (التجربة اليابانية) تأليف د. ميري هوايت تعليق د. كوثر حسين كوجاك، د. سعد موسى أحمد.

شأنهم. أما إذاتفرقت القلوب، وتشرذمت الأفكار، وتنوعت أسباب الولاء ، فهيهات هيهات إلى نيل مانبغي، ويافرحة العدو إذ يجدنا لقمة سائغة ! وقد أعانه على ذلك أفتك الأسلحة ، التفرق والتمزق .

[إن المسلمين والمسلمات في نظر الإسلام بناء سامق متراص ، لبناته أبناء هذه الأمة وكل لبنة ينبغي أن تكون متينة متماسكة شديدة الإرتباط باللبنات الأخرى ليتوافر للبناء تماسكه وقوته وصموده ، وإلا فإنه يتعرض للوهن والتداعي والإنهيار. ومن ثم أحاط الإسلام لبناته برباط وثيق من الزاد الروحي يحفظ تماسكها وتساندها وتعاونها ليبقى بناء المسلمين قوياً لاتزعزعه عوارض الأحداث ولايهز من كيانه عاتي الأعاصير .

وما أروع التمثيل النبوي لتماسك المسلمين والمسلمات وتكافلهم وتساندهم في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » متفق عليه] [1].

وللصحبة الطيبة أثر في ترابط المجتمع :

إننا إذ ندعو إلى بناء المجتمع النظيف الراقي المتماسك ، لابد وأن نساهم في بنائه . والمرأة المسلمة ليست هملاً أو هامشية في ذلك المجتمع.

إنها ذات كيان متميز ودور فعال .... ولاغرابة في ذلك ، إن هي إلافرع من شجرة هذه الأمة ، وبمجموع الفروع تكبر الشجرة ويزيد ظلها الوارف ويكثر ثمرها . ولاينضر الفرع إلابإنتمائه لأصله وللشجرة نفسها ، وإلا فماأشبهها بالفرع المقطوع من شجرة سرعان مايذوي فيصبح هشيما تذروه الرياح .

والنساء شقائق الرجال ، والمجتمع الذي يهمل المرأة ، ستنشأ أجياله جاهلة مهملة شأن أمهاته .

---

(١) شخصية المرأة المسلمة (٢٦٦) للدكتور محمد علي الهاشمي.

ومما يشق على المرأة أن تواجه أهوال الحياة بمفردها ، وأن تكافح فيها بلا معين ، وأن تعيش بها بلا أنيس .

والإسلام يضفي على الحياة الطمأنينة والهناء إذاشعرت المسلمة إن معها أخوات مسلمات يمددنها بالعون كلما احتاجت لذلك .

يدعمنها بالرأي الصائب والنصيحة المخلصة ، يساعدنها بالمال والجاه ..... .يلتمسن في ذلك الأجر. وقد قيل : المرء قوي بإخوانه ، وكذا المرأة قوية بأخواتها ، ومن لا إخوان له فلا أهل له كما قيل.

فالصاحبة تعين عند الشدة ، فإن سمعت أن ضائقة ألمت بصاحبتها ....فلن يهدأ لها بال ، ولايقرلها قرار ، حتى ترى صديقتها وقد كشفت عنها الضائقة ، وزالت عنها المحنة ، وأصبحت ترفل في ثياب العافية ، وترتع في مرابع النعمة . تتطلع إلى ما عند الله من الثواب ، لاتريد من صاحبتها جزاء ولاشكورا ....

وعندما تقدر أختها لها الفضل، وتعترف بالجميل ، فسوف يزداد الترابط وتحكم الأواصر، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها .

ولولا الصحبة ومكانتها لما بكى الشعراء على الأطلال بعد رحيل أصحابهم عنها.

لكن هل في كل اجتماع تضامن ومحبة ؟ وهل كل تآلف وتواصل قوة للأمة ومجلبة لخيرها ؟

وماذا لو اجتمع الفساق، هل ينتج من اجتماعهم إلا الخنا والفجور؟!

وماذا في اجتماع الأشرار إلا الارتكاس وملء الأرض إجراماً ورعباً ، وهم لايشعرون بوخز الضمير ولايرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة .

وأنى لتلك الصحبة الشريرة من جلب الخير للمجتمع ؟!

وهل سيجدون مع سوء الأخلاق إلا الخصام والشقاق ؟!

وقد ترى المرأة الأخرى ، فيعجبها تأنقها وجمالها ، وقد يفتنها مظهرها وحليها،

وقد تؤنسها ضحكاتها وعذب حديثها، وقد تجد فيها ضالتها ، ولسان حالها يقول:

« هي بعينها التي تجلب لي الفرح والمرح والهناءة والسرور ....»

هذه التي لن تدع للهم سبيلاً إلى قلبي !

لكن هل تجد ماتبتغيه عندها ؟ وهل تجد الوداد المنشود لديها ؟!

وهل يكون هناك انسجام وترابط بين اثنتين إذا كان المعيب عند إحداهما عادياً عند الأخرى ؟

فأنى لتلك الصحبة من تمتين أواصر المجتمع !

وماعمل الزميلات المقالب لبعضهن ، وحبك المؤامرات التي قد تصل أحيانا إلى القتل ، إلاإفرازاً لمجتمع متفكك بعيد عن الله . ودليل صداقة خاوية بعيدة عن الإيمان ، وتزيده تلك المقالب تفككاً فوق مايقاسيه من مشكلات لاحصر لها .

(أما المرأة المسلمة الواعية لأحكام دينها فإنها تبرز في كل مجتمع نسائي توجد فيه ، مجسدة قيم دينها الحق ، وشمائله الحسان بتطبيقها العملي لهذه القيم وتحليها بتلك الشمائل . فقوام شخصيتها الاجتماعية المتميزة رصيد ضخم من تلك القيم الإسلامية في سلوكها الاجتماعي ومعاملتها للناس .

فمن هذا النبع الثر تمتاح المرأة المسلمة أعرافها وعاداتها وسلوكياتها ومعاملاتها ومن هذا المعين الصافي والمورد العذب تنهل المرأة المسلمة لتزكية نفسها وتكوين شخصيتها الاجتماعية)[1].

وعليه : يجب تشجيع المبادرات الخيرة بين أخواتنا وبناتنا لإنشاء الصداقات الصالحة المبنية على الحب في الله . وعدم الاستهانة بالدور الحيوي الذي تقوم به الصديقات وذلك في إنارة الطريق إن كن صالحات خيرات . أوإقامة العثرات بها إن كن فاسدات ، وإشعال الفتن إن كن شريرات .

فإلى الصحبة الخيرة بين نسائنا ، ليتماسك بذلك مجتمعنا ، بتآزر نسائه

---

(١) شخصية المرأة المسلمة /ص ٢٩٨ .

الفاضلات وبالقدوة الطيبة يربين عليها الأجيال . وبالتعاون على البر والتقوى لآبائهم وأزواجهم..... وقد قيل في الفرق بين الصلة بين الأخيار وسرعة انقطاعها عند الأشرار :

« المودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها : ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الإصلاح .

والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها : كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لاوصل له أبداً »(١) .

٢ـ صحبة الفضليات دواء :

إن ذات الطبع السليم لابد وأن تنجذب إلى مخالطة نظيرتها حسنة الخلق ، إلى من تعيش بمحيط الإيمان وفضائله ، يجللها الحياء ويزينها التقوى ، لها تطلعات سامية ، تستقبح السفه والقحة والدناءة.

ولابد أن تنفر من ذوات الشر ممن يتبعن الهوى ... وإلى هذا أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « **الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** »(٢) .

ألم يحصل أنك التقيت بجليسة في عرس أو محفل عام ، فأحسست لأول وهلة بجاذب قوي نحوها ؟ وكأنك تعرفينها منذ زمن بعيد ؟!

لابد أن هناك أمراً جامعاً بينكما ، إنه توافق الأفكار والانسجام فيها ، أوتوافق الأخلاق والطباع .

فمن الصاحبة التي تستحق أن ترافق ؟ وتستوجب حقوقاً نسأل عنها يوم الدين؟! إنها الأخت في الله .

---

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير / ٤ ٥ .

(٢) رواه البخاري عن عائشة ومسلم عن أبي هريرة . ينظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٣٦ .

إنها الصورة الصادقة للإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملات ...

صلحت نفسها فصلحت تصرفاتها تخاف الله وتستعد للقائه . تعين على الخير وتهدي إلى صراط مستقيم . وتعلم أن من واجبها الإسلامي أن تدعو غيرها وتؤدي دورها في المجتمع كمصلحة عابدة .

إن زلت صاحبتها تأخذ بيدها لتخرجها من الهاوية ، وتنتشلها من العذاب ، لاتزال تحبب إليها فعل الخيرات وترك المنكرات فإذا بها تنشط وتجد للعمل الصالح، ، وأن لاتعمل ماقد تندم عليه ، ولاتترك من العمل ماتتحسر على فواته .... إنها كنز ثمين يفيض على صاحبتها كل خيرات الدنيا ، ويوصلها بإذن الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

وفي كل عصر تساهم فضليات النساء في توجيه المجتمع إلى الأعمال الصالحة، وعبادة الله الواحد الأحد ، ولهن اليد الطولى في مساعدة صاحباتهن إلى كل خير.

ساهمت بذلك منذ القديم : آسيا امرأة فرعون ، في دعم مسيرة الإيمان رغم طغيان فرعون . وساهمت بذلك أمهات المؤمنين ومن سارت على هديهن .

السيدة خديجة والسيدة عائشة والسيدة حفصة وأم سلمة رضوان الله عليهن وعلى أمهات المؤمنين جميعاً .

« والخصال الصالحة من البر لاتحيا ولاتنمى إلابالموافقين والمؤيدين . وليس لذي الفضل قريب ولاحميم أقرب إليه ممن وافقه على الخصال فزاد وثبته » (١)

كم طالبة جامعية اهتدت بفضل الله ثم رفيقاتها ، فإذا بها تصبح داعية إلى الله؟! وأخرى هجرت الملابس الفاضحة ، والأظافر المطلية ، ورضيت العيش في بيت بسيط ، ثم طلبت من زوجها أن يشتري لها بيتاً في الجنة ، ورضي الزوج ... وتصدق بالمال بدل بعثرته في حفل زواج وفرش بيت ..... لأنها ترى أن ذلك متاع زائل . وما حصل ذلك إلا ببركة الصحبة الطيبة التي كانت تثبت المرأة على الحق

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير / ٢٥ لابن المقفع .

وتدفعها إليه .

فالصحبة الطيبة تساعد على تحصين النفس ضد مزالق الهوى ونزغات الشيطان . إنها الدليل الخير الذي إن اتبعته صاحبتها هان عليها الجهد وأوشكت على الوصول . فهي تنمي ملكتها ، وتزيد علمها ، وتعينها على تصحيح الإيمان ، وتحقيق التقوى . وترشد إلى مافيه المصلحة .

فإن كان الأمر قبيحاً تخولت صاحبتها بالموعظة بأسلوب حسن تقيم فيه الحجة ولاتورث الوحشة . تنفي الشبهات ، تكره إليها التمادي في الخطأ .... أما إذا كان الأمر حسناً فإنها تشجع أختها وتعينها عليه .

وهكذا ، تصبح متعتهما ولذتهما سواء ، إنها في العبادة خالصة لوجه الله ، إنها ليست لذة المطعم والمشرب ، بل عمل بالأركان وصلة للأرحام وتعلُّم لما ينفع في الدين والدنيا .

إنها صحبة تتوق إلى معالي الأمور وتبعد عن سفاسفها . تحلق في أجواء إيمانية لايذوق لذتها إلاالمؤمنون بالله جل وعلا .

إن آصرة التجمع في الإسلام هي العقيدة المتينة والاستقامة على هذا الدين .

والمرأة الصالحة تبحث عن صحبة المؤمنة التي خالط الإيمان قلبها ، واستولى حب هذا الدين على مشاعرها وتفكيرها لتصاحبها سواء كانت صحبة في سفر ، أو زمالة في الدراسة ، أو صحبة في النزهة أو المخالطة أو الزيارة .

لأن صحبة المؤمنة التقية هي النافعة لها : قال تعالى :

« **الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** » [الزخرف : ٦٧] .

أختي المسلمة :

سائلي نفسك : هل تسرك صحبة فلانة ؟ هل تشعرين أن القرب منها نعمة أم نقمة، كوني صريحة ، هل يسرك محشرك معها يوم القيامة ؟!

فقد جاء فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« **المرء مع من أحب** » متفق عليه .

فالحذر الحذر ، والصاحب ساحب ، والصديق قبل الطريق . كما يقال .

إننا إذ نتحدث عن الصحبة ، لانعني بها الصداقة بين الولد والبنت ..... فهي مهما تسمت بأسماء ، من زمالة عمل أو تبادل مصالح أو غيرها .... فهي ليست سوى متاهات عاطفية تودي بكل من المرأة والرجل ، بل الأسرة والمجتمع أيضاً إلى مهاوي الفسق والتردي . وليست إلا طيشاً ورعونة . وهاهي المجتمعات المختلطة التي تنعق مقلدة مايدور في ديار الغرب المنحل ، من شيوع الصداقة بين الفتيان والفتيات ، قد انزلقت في أوحال أسرية ، فعاشت في جحيم الرذيلة وأمراض الجنس .

(إن الناس إن لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل . وإن لم توحدهم عبادة الرحمن ، مزقتهم عبادة الشيطان . وإذا لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا . لذلك كان الظاهر المر من خصائص الجاهلية المظلمة وديدن من لاإيمان لهم)[1].

وفي الصحبة بين الخيرات راحة للنفس:

وذلك ماجاء في كلام الأقدمين :« اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء وعدة في الشدة . ومعونة على خير المعاش والمعاد، فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء المواصلات والأسباب إليهم » [2].

وفي كتاب الله وسنة نبيه مايوضح ذلك ، فهي :

تفيد الثبات على الإيمان : فالقلوب التي تتجه خالصة لله لاتبتغي إلا وجهه ولاترجو

---

(١) خلق المسلم / ١٩١/ للغزالي .

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير / ١٠٨ .

أحداً سواه . ولا تضمر لغيرها إلا الخير ، لن تفرز إلا النصح لمن حولها . فإذا السكينة ترفرف عليهم ، والوقار يحيط بهم . وإذا كل من الأصحاب أضحى التقي النقي ، الطاهر المستقيم ، العامل بكتاب الله وسنة رسوله .

ولن يتسرب إلى الصاحبة الإشراك بالله ، وصاحبتها لها ناصحة تدلها على الخير وتتفق معها على الطاعة والانصياع لحكم الشرع .

تعلمها حماية الشرف ، والتمسك بالعفة والبعد عن النزوات فتغض الطرف استجابة لأمر الله : ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ [النور :٣١] إن تقوى الله يصون كلاً منهما عن الاندفاع والشطط والتهور وكل مثالب الأخلاق . فلا عجب إن وجدت حلاوة الإيمان في هذه الصحبة الخيرة :

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان . من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** » رواه البخاري ومسلم .

وهكذا ، فإذا انحرف شخص قيل له : ابحث عن الصالحين وذوي الأخلاق الحسنة ورافقهم لتنجو من الشرور وكل أسباب الغواية . فمعرفتهم دواء ناجح لذوي النفوس المريضة .

وإذا مالت فتاة عن جادة الصواب ، قيل لذويها : دعوها تلزم مصاحبة ذوات الفضل لتستفيد من عشرتهن ، وتصون سمعتها وشرفها أن تلوكها الألسنة ، وتتخلص نفسها من الدنايا .

إذ يُحسنَّ إليها الحسن ويقبحن القبيح ، ويوقظنها من غفوتها ، ويأخذنَّ بيدها إلى درب الخير ، ويكنَّ لها النبراس المضيء لتحنو حذوهنَّ . فبالمخالطة لهنَّ تقتبس من طباعهنَّ وتسير على هديهنَّ .

فهي الصحبة الرابحة في الدنيا والآخرة .

الصاحبة المؤمنة تعين صاحبتها على تحمل مشاق الحياة، واستعذاب مرارة الكفاح . وتساعدها في مشاغل العيش . فهي تعينها لتصنع سعادتها برأيها الحصيف بعيداً عن السخف والبلاهة .

ولاتستغني المرأة عن الصاحبة الصالحة تبثها همومها ، تحدثها عما تعانيه من مرض فتخفف من ألمها ، وقد ترشدها إلى الدواء إن كانت تحسن ذلك . تشكو لها خلجات نفسها ، وماتواجه من صعاب ومشكلات في الحياة . فإذا بها الصدر الحنون ، والمخلصة الناصحة تجد عندها الرأي الصائب والتطلعات السامية .....

وإن داهمتها المصائب ، وما أكثر مصائب الدنيا ! فصديقتها المؤمنة تسليها عن مصائبها ، تذكرها أن المصائب كلها إن هي إلامن المكاره التي حفت بها الجنة فتزيد من يقينها ، وتمد يدها ضارعة إلى الله عز وجل أن يحفظ عليها دينها الذي هو عصمة أمرها ، وأن يكشف عنها البلاء ، فهو وحده القادر على ذلك . وتبقى في كل أحوالها ثابتة متوكلة على الله .

فالضعيفة تقوى بأختها ، تعينها في البلوى والضائقة ، تواسيها بمالها، بعذب حديثها ، برباطة جأشها وعدم الجزع أمام الحادثات ..... بل تؤنس قلبها وتخفف عنها ، تذكرها بالله وتدعوها للإيمان بالقدر . (فلاعجب بعد ذلك أن تنقلب الحياة العابسة الكئيبة إلى حياة رحبة فسيحة ترفرف عليها نسائم الإيمان التي تمسح عنها كل قتام ، وتحوله إلى ابتسامات وحبور ، فتضيق عندها الهموم وتزول الشكوى ويزداد السرور .

إن الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى وهي نعمة يهبها لمن يحبهم من عباده دائماً)[1].

وقد قيل : ليس في الدنيا سرور يعدل صحبة الإخوان ، ولاغم يعدل فقدهم .

---

(١) في ظلال القرآن / م١ / ٤٤٢ / سيد قطب .

٣ـ الصحبة السيئة شر داء:(*)

قد تنتكس الفطرة فلايصحب البعض إلا مايفسدهم .

قد يمرض الجسم فلا يستسيغ إلامافيه مضرته حتى لو كان في ذلك حتفه !

وقد تمرض النفس فتستملح كل قميء !

وقد ينحرف المزاج فلا يروق للمرأة إلا صحبة نوع من الناس لايجلب لهن إلا كل شر .

وقد تنتكس الفطرة ، فلايصحب البعض إلامايفسدهم ولايحترمون إلامافيه مضرتهم فماذا تكون النتيجة ؟!

تتوالى المشكلات وتتكاثر المصائب ، وتعم الشرور في المجتمعات ، وتنتشر الفوضى ، ويضمحل الأمن .

قد تزين الفتاة لصاحبتها طول الأمل، وتغريها بالراحة والمتعة المزيفة ، وتدعوها إلى التسويف ..

كم توسوس لصاحبتها قائلة : غداً تكبرين ...!

اغتنمي من متاع الحياة ما تستطيعين !

وكلما همت بالعمل الصالح جائتها صاحبة السوء بوساوسها لتعود بها القهقرى ، وزخرفت ذلك التقصير ، الذي ماهو في واقع الأمر إلا العجز المبين . وإذا مارأتها قد ضعفت عن الطاعة وتكاسلت عن الصلوات المفروضة زينت لها ذلك الضلال ووعدتها بالمغفرة .... وكان أن أوقعتها في آفة يفضحها الله بها يوم القيامة ؟!

وإذا ماداهمها المرض ، عندها تعض البنان ندماً على مافات ... وأنى ينفع الندم ...؟!

وإن باغتها هادم اللذات – الموت – فماذا تكون قد جنت من صحبتها تلك غير

(*) : ينظر أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام / ص ٢٢٣ – ٢٣٩ .

التقصير والخذلان ؟!

أما كان من الأجدر بها مغالبة الهوى وقهر النفس ، وعدم إضاعة الأوقات دون عمل صالح تعمله ، أو على الأقل النية الخالصة لله وعدم اقتراف مانهى عنه ؟!

لو تذكرت العقاب الأليم الذي ينتظر من تصر على الذنوب ، لما جاملت على حساب دينها أمثال تلك العاصية ، ولما أطاعتها وأغضبت خالقها . ولما أجلّت وسوفت وهي تعلم أن العمر أضيق من أن تضيعه في انتهاك المعاصي ، ولفرت من هذه الصحبة كما يفر السليم من المجذوم . وقد نفر الله تعالى من صحبة أمثالها بقوله : **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاتفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾** [الأنفال : ٧٣] .

وصدق الشاعر :

هل يستوي من رسول الله قائده	دوماً وآخر هاديه أبولهب ؟!
وأين من كانت الزهراء أسوتها	ممن تقفت خطى حمالة الحطب ؟!
إن الرذيلة داء شره خطر	يعدي ويمتد كالطاعون والجرب

* **ومن مثالب الصحبة السيئة : إشاعة الفساد في الأرض** .

أكثر مايظهر أثر الصحبة في سن الشباب ، فقد تصحب رفيقة السوء صاحبتها لمشاهدة فلم جنسي ، أوتهرب لها أشرطة الفيديو المحرمة بحجة تسليتها ... وأخرى قد تصحبها إلى نزهة دون علم الوالدين ... وثالثة تنفرها من الملابس التي تألفها وتدعوها إلى لبس الملابس الفاضحة ... وتلك التي رضيت لنفسها أن تكون آلة لصنع الشر، كانت تعمل على توصيل رسائل مغازلة لصديقتها قد تؤدي بها إلى الخنا والفجور ، وتقودها إلى الهاوية من حيث لاتدري، وكل ظنها أن صديقتها لها محبة ... وقد يصل الأمر بصاحبتها إلى فضحها بأن تنشر صورها ، وتذيع أسرارها بكل صفاقة !

أليست هذه وتلك من شياطين الإنس ومردتهم ؟!

على أن معاشرة داعيات الانحلال والاستئناس بهن دليل نقص الإيمان وانحراف السلوك [1].

* **وصديقة السوء لاتفتأ تنشر الضلال وتحجب الرؤية بالشبهات** ، وتصد عن السبيل بتحبيب الهوى .

إنها لاتألوا جهداً في إقامة شبهات عقدية تفسد بها دين صاحبتها . وقد يصل بها الأمرإلى الإلحاد أو الإنحراف حين تصبح أسيرة غرائزها .

وقد قيل : الصاحب ساحب . لأنه يترك أثراً في صاحبه من خلال إعجابه به ورضاه بأخطائه وموبقاته . ومن خلال تقليده والسكوت على هناته . وقد نهى الله تعالى عن مصاحبة الكفار ، ومصادقة الفساق ، والركون إلى الأشرار الفجار، قال عز وجل : **﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بماجاءكم من الحق﴾** [الممتحنة : ١] .

إن موالاة المؤمنات ، ومعاداة الفاجرات واجب عقيدي شرعي استهان الناس به في هذه الأيام .

فالمحبة والبغض أمور شرعية لاتكون حسب الهوى ، والموالاة والمعاداة قضايا دينية لاتتبع المزاج . قال جل شأنه : **﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** [المجادلة :٢٢] .

فلا سبيل إلى التقارب بين المؤمنة والجاحدة ، بين من تزرع في الدنيا وتنتظر الحصاد في الآخرة ، وبين من انتكست فيها الفطرة وأتبعت نفسها هواها .

---

(١) للتوسع في ذلك ينظر كتاب : الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة / ص ٧٠ .

* إن صاحبة السوء **جرثومة تزرع الشرور حيثما حلت** ، بالنميمة حيناً تثير بها الضغائن وتفسد النفوس ، وبالإثارة والتحريش بين المؤمنات حيناً آخر :

قد تزين الطالبة لصاحبتها الإعراض عن طاعة معلمتها بل وعمل المقالب لها ! وقد تتقرب الموظفة من المسؤولة ، وتتملق لتعمل كما يحلو لها ، وتزين باطلها ولو كالت التهم والشتائم لغيرها !

وقد تستثير المرأة الغيرة عند صاحبتها فماتدع فرصة إلاوتظهر ثراءها وتفخر بمكانتها عند زوجها ، وتتباهى براحتها ورفاهيتها .... مما يحرش صاحبتها ويفسد حياتها عندما يتسبب ذلك في كره زوجها ، والنقمة على واقعها ، والشعور بالحرمان والإحباط ممايؤدي إلى تحطيم أسرتها .

وكم نسمع عن أسر كانت تنعم بالصفاء والاستقرار ، بعيدة عن نزعات الشيطان ، فإذا بحياتها تنقلب رأساً على عقب . فتسود المشاحنات فيها ويحل الخصام محل الوداد ، وتصبح المشاكل هي أساس الحياة ودأبها وعند البحث عن الأسباب ، وتحري الملابسات التي أدت إلى ذلك التحول ، تبين أن السبب : هو الصحبة السيئة التي تجد لذتها في إشعال الفتن وتأجيج العداوات بعيداً عن روح الأخوة ، ومعطيات الإيمان .

* وأكثر ما تنفذ إليه أمثال هؤلاء الشريرات في ساعة ضعف :

– فتلك كانت تشكو بحرارة إلى صديقتها بعد الزوج عن البيت ، وغيابه الطويل عنه . أشارت عليها الصديقة بفكرها المسموم ، قالت لها :

« عليك بالدش ولاحل لك غيره !»

وماعلمت أنه يشتت شمل الأسرة فيجعل لكل فرد رأيه ، وإن تعارضت الآراء ، إماأن تتعدد الأجهزة ، أويتخاصم أفراد الأسرة . وفي كل حال تتمزق الأسرة ويتشرذم أفرادها .

– وتلك رفيقة تظهر لصاحبتها أنها لها ناصحة ، وتقول لها مهونة شأن مخالفة الزوج وميسرة أسباب الشقاق :

« أنا تحت أمرك ، لك سيارتنا ، وتذهبين مع السائق لشراء مايروق لك !»

وذلك في غيبة الزوج ودون علمه ! ثم قد تقول باستهجان :

« وماذا يريد منك وأنت موظفة ولك راتبك ؟! »

وعلى هذا وأمثاله تقوم علاقات وصداقات كاذبة تشتت الأسر وتهدم الروابط ، وتزرع النكد والقلق والاضطراب .

– ورب سخيفة طائشة أعمالها التقليد وفتنتها المدنية الكاذبة [1] ، جعلت من نفسها مسخاً للآدمية في لباسها الذي ينم عن خفة الأحلام . وفي لسانها الذي تتظرف باللكنة الأعجمية ، وتأبى إلاأن تشاركها صديقتها في تقليدها السخيف ، بل والتسابق في تقليد الكافرات و السير وراء التقليعات ، والداعر من الدوافع والرغبات حتى إذا تورطت في التجاوب معها ... انطفأ فيها نور القلب ، والتهبت نار الشهوات . فلا ينفعها حين تشعر بالخسة وتبكيت الضمير، إلا الندم والإقلاع وهجر صاحبة السوء واللجوء إلى الله وحده غفار الذنوب ...

– تقول صديقة السوء لصاحبتها : ماهذا الشعر الذي ينساب على ظهرك ، ألاتعلمين أن الشعر الناعم أضحى موضة قديمة ، إذهبي إلى صالون (كذا) وجعديه !

وأخرى تقول : شعرك الأسود أماآن له أن يتغير ؟!

إما أن تلونيه حسب اللباس فهو تارة أحمر وأخرى أخضر ، أوعلى الأقل تجعلين خصلة منه كلون ملابسك ...!

وعيونك ...... غيري وبدلي من العدسات الملونة كما تحدده الموضة لك !

أين العقول ؟ بل أين تحكيم الشرع ؟

---

(١) ينظر : المرأة بين الجاهلية والإسلام : باب المرأة في الجاهلية المعاصرة .

لقد تحكمت الموضات في كثير من نسائنا ، حتى صارت هي الآمرة الناهية ، وهي المطاعة بعيداً عن أوامر الشرع .

وقد أكثر الشعراء في التحذير من صحبة الأشرار فقال أحدهم :

واجف الدنيء وإن تقرب إنه ... يؤذيك كالكلب العقور لأهله
واحذر معاشرة السفيه فإنه ... يؤذي العشير بحجمه وبشكله

وقال آخر محذراً من الأشرار وفاضحاً لأحابيلهم :

واحذر معاشرة الدنيء فإنها ... تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب

* إن صحبة الأشرار **تضر في الدنيا وتعقب حسرة وندماً** في الآخرة .

قال تعالى : « **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إني كان لي قرين . يقول أإنك لمن المقربين . أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون . قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** » [الصافات : ٥٠-٥٧] وإلى مصاحبة الأخيار والبعد عن مخالطة الأوباش والأشرار دعا الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً أثر كل منهما :

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال :

«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» (١)

وإلى هجر البيئة التي تغري بالشر وإلى عدم الثقة بأهل السوء دعا عمر رضي الله عنه بقوله :

---

(١) رواه البخاري ومسلم . يحذيك : يعطيك .

« لاتصحب الفاجر فيحملك على الفجور . ولاتفشي إليه سرك . وشاور في أمرك الذين يخشون الله » [1]

والذين يريدون بالمؤمنين سوءاً ويبعدونهم عن صفاء الإيمان واستقامة الإسلام هم الأعداء حقاً ، هم جند إبليس اللعين .

▪ والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر ، ويهتدي بنوره بعد الضلال ، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار أو أشد .

فعدو الله هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان وإلى فراغ الكفرالخاوي بعد عالم الإيمان المعمور ......

فالذي يود أن يخسر هذا الكنز كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد واللسان »[2]

وسوء الصديق قد يخدع خلافاً لبغض العدو ، فإنه ظاهر بيِّن .

« وسوء الأصدقاء أضر من بغض الأعداء . فإنك إن واصلت صديق السوء أعيتك جرائره . وإن قطعته شانك اسم القطيعة . وألزمك ذلك من يرتع في عيبك ولاينشر عذرك . فإن المعايب تنمى ، ولاتنمى الأعذار »[3] فالطالبة المسلمة تحسن اختيار صديقاتها ، والمعلمة المسلمة تحسن انتقاء الخلص من زميلاتها ، وربة البيت المسلمة تحسن اختيار صاحباتها ...

الحب في الله من دعائم الإيمان: (*)

إن من ثمرة حب الله تعالى ، أن يحب المرء كل مايحبه الله ، وأن يكره كل

---

(٢) شرح السنة / ١٣ / ١٩١ .

(٣) في ظلال القرآن / ٦٣ / ٤٠ ٣٥ .

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير / ١٠٩ .

(×) ينظر أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام / ٣٠٩ - ٣١١ .

مايبغضه الله .

والمسلمة تحاسب نفسها حتى في عواطفها . وتتعبد الله في ذلك . فليس الحب حب الهوى الشخصي ، أو المكانة الإجتماعية . إنها تحب المسلمات وذلك يعتبر من أفضل القربات :

عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله»** قالوا : يارسول الله ، فخبرنا من هم ؟

قال : «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» . وقرأ هذه الآية : **(ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)** » رواه أبوداود(١)

حسبهم أنه لايصيبهم فزع في الدنيا والآخرة . فهم آمنون إذا خاف الناس . جزاءً وفاقاً يتناسب مع صفاء قلوبهم ، وطهر محبتهم .

فالمسلمة التي يعمر قلبها الإيمان ، وتضع نصب عينيها كتاب الله وهدي رسوله، تعمل على تمتين الأواصر بينها وبين المسلمات الصالحات تحبهن لله . وليست علاقة منفعة فإن زالت المصلحة انقطعت الوشائج وقلبت لصاحبة الأمس ظهر المجن وحلت القطيعة محل التواصل .

إنها تعلم أن الإنسان ليس مخلوقاً للأخذ بل للعمل والعطاء قال تعالى :

« **ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه** »

والحب في الله من دعائم الإيمان بالله تعالى!

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« **لايجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لايحبه إلا لله وحتى أن يقذف في**

---

(٣) الترغيب والترهيب / ٤ / ٢١ .

النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله . وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » رواه البخاري .

▪ وقد قامت الجماعة المسلمة الأولى في المدينة على هاتين الركيزتين : على الإيمان بالله ، ذلك الإيمان المنبثق من معرفة الله سبحانه وتمثل صفاته في الضمائر . وتقواه ومراقبته واليقظة والحساسية إلى حد غير معهود إلافي الندرة من الأحوال . وعلى الحب ، الحب الفياض الرائق . والود ،الود العذب الجميل . والتكافل ، التكافل الجاد العميق .

وبلغت تلك الجماعة في ذلك كله مبلغاً لولا أنه وقع لعد من أحلام الحالمين . وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة ولكنها في طبيعتها أقرب إلى الرؤى الحالمة . وهي قصة وقعت في هذه الأرض ، ولكنها في طبيعتها من عالم الخلد والجنان .

وعلى مثل ذلك الإيمان ومثل هذه الأخوة ، يقوم منهج الله في الأرض في كل زمان »[1]

والصداقة في الإسلام هي عون على مواجهة الحياة ، واتفاق على الخير، وتعاون على البر والتقوى.

والصديقة ليست مجرد أخت عادية اختيرت بعشوائية ودون تفكير ، كلا وحاشا، فالعلاقة ليست علاقة مصلحة زائفة وغرض دنيوي زائل. وإنما هي صلة تترفع عن دركات الدناءة والصغار لتدوم وتزيدها الأيام متانة ونقاء .

لتستحق أن تنال الثواب فيظلها الله تحت ظله يوم لاظل إلاظله ، فيشمل برحمته نفوساً تحابت في الله يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وتقرب الشمس من الرؤوس ويشتد على الناس حرها فيأخذهم العرق ...... عند ذلك يظل الله تحت ظل عرشه:

---

(١) في ظلال القرآن / ١/ ٥ ٤٤ .

« ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه »[1]

ومـاذاك إلالأن زيادة الأواصـر دليل تجـانس المزاج ووحـدة الهـدف . إنـه الحب الطاهر ، الداعي إلى المثل العليا ، والعقيدة السليمة يجعل الهوى فيما يحبه الله ويرضاه :

« أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله . والحب في الله والبغض في الله عز وجل »[2]

فشتان بين الحب في الله ، وبين العلاقات الشاذة التي انحطت حتى عن مرتبة الحيوانية . فالحيوانات على فطرتها .

أما المرأة التي بالغت في حب صديقتها إلى درجة العشق ، فقد انحطت عن فطرتها .

وحول تساؤل عن صحبة المترجلات من النساء ، ويحوك في صدر البعض ، نذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : **« لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »[3]**

ياالخسارة هؤلاء التافهات ! إنهن ملعونات على لسان سيد الخلق . وفي الحديث صفعة لمن تصاحب أمثال هؤلاء النسوة المترجلات . وترضى لنفسها الشذوذ والخروج عن سنن الفطرة .

فهذه صحبة أولها لهو وآخرها شؤم عليها وعلى صاحبتها ، وخسران الدنيا والآخرة . والمسلمة الحقة يعصمها دينها عن التردي ولاشك . إن محبتها لأختها نقية من كل شائبة ، صافية من كل كدر. طاهرة غير دنسة ، جادة غير عابثة ، داعية إلى الله بحسن التزامها ، تعطي صورة مشرقة للمرأة المسلمة .

ثم إن المبالغة في الحب قد تكون نوعاً من أنواع الشرك . ذلك أن الإفراط حتى

---

(١) كما جاء في الحديث الصحيح / في لبخاري ومسلم . / صحيح الجامع الصغير / ١ / ٦٧٤ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة / ٤ / ٣٠٦ .

(١) رواه البخاري وغيره – صحيح الجامع الصغير ٢ / ٩٠٨ .

في بعض الأمورالمباحة يعتبر غلواً نهى عنه الإسلام .

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لوأن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار﴾ [البقرة : ١٦٥-١٦٧] وماهذا الحب الأهوج إلامرض في القلوب :

قال الغزالي : من عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض ، كماأن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء ، أوسقطت شهوتها من الخبز والماء فهي مريضة »(١)

والواجب الاعتدال في الحب .

عن أسلم قال ، قال لي عمر بن الخطاب (٢) :

ياأسلم لايكن حبك كلفاً ، ولابغضك تلفاً . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إذاأحببت فلاتكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه . وإذاأبغضت فلاتبغض بغضاً تحب أن يتلف صاحبك ويهلك .

وقال علي : أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما . وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

والمسلمة يرشدها دينها فيصونها عن الوقوع في الغواية . ويهديها هداية باعثة على الكمال في ظل العقيدة السليمة والتعاون على البر والتناصح مع صاحباتها . والاتفاق معهن على فعل الطاعة ،والبعد عن الكسل والخمول . فهن ذات رسالة تجمعهن وتملأ حنايا نفوسهن تدفعهن إلى العمل .

---

(١) إحياء علوم الدين / ٣ / ١٠٢ .

(٢) شرح السنة / ١٣ / ٦٥ .

فلاعجب أن يكرمهن الله بالاجتماع معاً يوم القيامة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى يوم القيامة يقول : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لاظل إلاظلي »[1]

إنها صحبة نقية تقية ، تستهدف أمراً تهون أمامه الحياة . وتقدم له رخيصة الرقاب . إنها صداقة قائمة على الحب في الله ، فهي مودة خالية من الكدر ، فيها الحب والمصافاة ، فيها السمو والرفعة ، إنها نموذج لإصلاح النفوس ، يفيض خيراً ونبلاً وطهراً .

فالصالحة المحبة في الله هي أخت ناصحة تستر أختها ولاتكشف عورتها ..... قد تذكرها بالبر بالوالدين وعدم التعالي عليهما والتضجر منهما .. وإن وجدت منها تحاملاً على أقاربها أو أقارب زوجها ، فلن يكون من أختها إلاأن تذكرها بما للصلة من الأجر ، فتذهب الجفوة وتزيد الأواصر ، وتفتح قلبها لأقاربها .....

وقد تدعوها إلى حسن التوجيه للأولاد والبعد عن القسوة معهم أو تدليلهم .....

كم صاحبة أنقذتها صاحبتها من بؤرة بيت سيء إلى صاحبات وأخوات طيبات. أصبحت بعد مصاحبتهن ، عابدة لربها ، تهتم بأمر المسلمين وتعيش أشجانهم وأفراحهم . أصبحن يداً واحدة ، يعملن لتعليم المسلمات الفقيرات ، أو يخيطن لهن الملابس . أويعملن دوراً لرعاية أطفال المسلمين اليتامى .....

وقد ينشطن للمساهمة في مجلات إسلامية يواجهن بها تحديات العصر الفكرية.

والصحبة الطيبة منحة إلهية ونعمة منه ، ومكافأة خيرة يعدها للمؤمنين الصالحين . ويعد الله المؤمنين أصحاب العمل الصالح في قوله :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ [مريم : ٩٦]

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة .

أي محبة في قلوب الصالحين . قال مجاهد : يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل ، قد أحببت فلاناً فأحبه ، فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ، أن الله عز وجل قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض** »[1].

٥ـ من صفات الصديقة الفضلى:

وأول شرائط للصحبة الكريمة :

أن تبرأ من الأغراض وأن تخلص لوجه الله تعالى وأن تولد وتكبر في طريق الإيمان والإحسان وهذا هو معنى الحب في الله .

إن الإنسان إذا رسخ في فؤاده اليقين ، وخالطت بشاشة الإيمان قلبه ، وأحس بحلاوته في مذاقه، أصبح ينظر للأحياء قاطبة على ضوء العقيدة التي تمحص لها . فهو يحب لمبدأ لا لشهوة ، ويكره لمبدأ لا لحرمان ....

قد تتجمع القطعان على مورد عذب أو كدر وقد يلتقي الناس على دنيا عارضة وربما تأسست بينهم علاقات متينة ، بيد أن هذا الضرب من التعاون والتواد لا يقاس بما ينشأ بين أصحاب المثل العليا من محبة وصفاء وتعاون وتفان . ولذلك احتفى الإسلام بمشاعر الصداقة النقية ، ورغب المؤمنين في إخلاصها لله وإبقائها لوجهه ، وجعل لها من جميل المثوبة ما هي له أهل)[2]

ومن صفات الصديقة المثلى : **العقل الناضج** : ذلك أن التكليف مرفوع عن فاقدي العقل ومن المزايا للصديقة الرأي السديد والتفكير السليم ، وإلا أوقعت

---

(١) تفسير البغوي / ج٦ / ٢٥٧ .

(٢) خلق المسلم للغزالي / ٢٠٠ .

صاحبتها في شر مشورتها. فإياك من مصاحبة الحمقاء فإنها تريد أن تنفعك فتضرك . وما أحسن تصوير الشاعر لصحبة الحمقى :

احذر الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب ... زعزعته الريح يوماً فانخرق
فإذا عاتبته كي يرعوي ... زاد شراً أو تمادى في الحمق

فصاحبتنا المسلمة ذات ذهن وقاد ، تعلم الخير وتنشر الفضيلة . ومن صفاتها أيضاً:

- **الدين المتين** : وذلك لقوله تعالى :

« **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** » [الكهف :٢٨]

فإن وجدت أختاً تذكرك بالله فالزميها فطريقها طريق الجنة . وقال عمر رضي الله عنه : لاتأمن عدوك واحذر صديقك إلا الأمين . والأمين من خشي الله عز وجل.

إنها تتمسك بكتاب الله وهدي نبيه بلا إفراط ولا تفريط .

فهي تنير القلوب بتلاوة كتاب الله وتدبر آياته ، مع عدم الغلو في زعم التقوى والفضيلة وبعدها عن البدع .

- **الخلق الحسن** : وهذا من ثمرات الإيمان[1] ، لأن الخلق المتين ثمرة العقيدة السليمة والتدين الصحيح. ولن تحب عاقلة سوية من تتصف بقبيح الخصال .

وقد لخص ابن جماعة صفات الصاحب :

▪ فإن احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً ذكياً كثير الخير ، قليل الشر ، حسن المداراة ، قليل المماراة ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه وإن احتاج واساه ، وإن ضجر صبره »[2]

---

(١) – ينظر : أثر العقيدة في توجيه السلوك والأخلاق من كتاب أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام ص ٢٨٥ – ٣٠٠) .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم / ص ٨٣ .

وذات الخلق الحسن تستطيع أن تضبط رغائبها ، وتغالب هواها ، فلا تتصرف مايحرمه الشرع أويستقبحه العقل السليم .

فالصديقة التي تتطلع إلى صحبتها هي :

المؤمنة التقية ، المهيبة الرزينة ، ذات عقل وحنكة ، تحب لغيرها ما تحب لنفسها ولاتقحم نفسها في أمور غيرها ، كما أنها لاتترك صديقتها تتخبط دون إنكار المنكر . بل تهدي الحيارى وتعين المحتاجين .

الفصل الثاني

من حقوق الصحبة في الإسلام

المبحث الأول : حق الصاحبة مطلب شرعي

المبحث الثاني : كيف تدخلين السرور على قلب أختك المسلمة ؟!

المبحث الثالث : آداب الزيارة بين الصديقات .

المبحث الرابع : التعاون على البر والتقوى .

« المبحث الأول »

حق الصاحبة مطلب شرعي:

شرع الإسلام آداباً يحفظ بها الوداد وتقوى فيها الألفة ، وتدوم معها الصداقة. وبالالتزام بها ترقى المجتمعات .

إنها آداب تلتزم بها المسلمة ولاتتساهل في تطبيقها ، إنها حقوق شرعها الله تعالى ، وسنها رسوله صلى الله عليه وسلم . وليست تقليداً يتغير بتغير الزمان أو المكان .

وكل مأمر به الشرع للأخت المسلمة فهو من حقها :

قال تعالى : « **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** » [الشعراء : ٢١٥] وقال رسوله الكريم : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » رواه أحمد والترمذي والحاكم[1]

وهناك أعمال تكسب المحبة وتجلب الألفة ، وآداب تدعو إلى التعاون والصفاء ، نجدها مبثوثة في آيات كتاب الله الكريم . وفي السنة المطهرة . ومن تمسكت بها فقد تحلت بمكارم الأخلاق ، ومن حادت عنها فلاتلومن إلانفسها حين تشعر أنها وحيدة منبوذة وهي تقول بمرارة : لقد تفرق شملي وازور عني كل من اعرف !

وقد قال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وليس بالمال يكتسب الأصدقاء . ولابالعطاء تجلب الألفة : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**[2]» فبالخلق الحسن والوجه الطليق تنال

---

(١) صحيح الجامع الصغير / ١ / ٦٢٠ .

(٢) رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن جيد / ينظر الترغيب والترهيب / ١ / ٤١١ .

مودتهم وتحظى بمحبتهم .

والصاحبة المسلمة تعرف الواجب ولاتتملص منه . لاتهمل ولاتسوف ، تقوم به نحو أخواتها المسلمات متطلعة إلى الثواب من الله عز وجل .

وتعلم أن الحياة هي المحك ، وهي دار العمل ، فلاتضيع الحقوق ، بل تؤديها بكل حرص . تحرص على الخلق الفاضل السامي فهو من تعاليم ديننا الحنيف ، كما جاء عن الرسول ﷺ .

« إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها » [1]. هذا وليس أحداً من الناس إلاوفيه من كل طبيعة سوء غريزة . وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء. وقد قال الأحنف : « الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات . فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك ، وبالرضا حتى لاتستكبر من نفسك الفضل ولامن أخيك التقصير»[2]

وجماع آداب الخير (كما ذكر إمام المالكية في المغرب) يتفرع من أربعة أحاديث :

قول النبي ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »

وقوله ﷺ : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه »

وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية : « **لا تغضب** »[3]

وقوله ﷺ « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه** »

هذه آداب رفيعة ، ما أحرانا أن نهتدي بهديها ، ونعض عليها بالنواجذ . ومن جوامع الكلم ، ومن هديه صلى الله عليه وسلم اقتبس الصحابة رضوان الله عليهم كثيراً من الآداب ودعوا إليها حتى ظهرت فيما أثر من أقوالهم وأفعالهم :

قال عمار: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان :

---

(١) الحديث صحيح - ينظر صحيح الجامع الصغير ١ / ٢٧٠ .

(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ٢٩٣ .

(٣) ينظر شرح صحيح مسلم ج ٢ / ١٩ .

«الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الاقتار»[1] لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقاً واجباً عليه إلاأداه . ولم يترك شيئاً مما نهاه عنه إلا اجتنبه . وهذا يجمع أركان الإيمان .

وبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الإحتقار ، ويحصل به التآلف والتحابب .

والإنفاق من الإقتار: يتضمن غاية الكرم . لأنه إذا أنفق مع الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقاً...

وكونه من الإقتار يستلزم الوثوق بالله ، والزهد في الدنيا ، وقصر الأمل وغير ذلك من مهمات الآخرة.

إنها الدرر الغالية ، لو اتبعناها في سلوكنا ومناهج التربية لدينا لفزنا في الدارين . وسعدنا مع من نصاحب .

* ومن نصائح الإمام علي لابنه الحسن : « يابني اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك . واكره له ما تكرهه لها . ولاتظلم كما لا تحب أن تظلم . وأحسن كما تحب أن يحسن إليك . واستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك ، وارض من الناس ماترضاه لهم من نفسك . ولاتقل مالا تعلم وكل ماتعلم . ولاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً . واعلم أن حفظ مافي يدك أحب إليك من طلب مافي يد غيرك . ولاتأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام» [2]

ماأحوجنا إلى سمو المشاعر وحسن التصرف مع من نصاحب في هذه الحياة ، فبذلك نتساند ونقوي في أمتنا الجبهة الداخلية ، وإلاكيف سنجابه أعدائنا إن لم نحافظ على أصدقائنا ؟!

---

(١) أثره هذا أخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان .

(٢) الترغيب والترهيب (الحاشية) / ٤ / ٢٣ .

فما هو حق الصاحبة ؟

إنه الحق المشروع الذي أباحه هذا الدين ودعا إليه .

أقول ذلك لمن جعلن من أولويات حق الصحبة ، تبادل الصور بين الصاحبات ، وجعلن ذلك المظهر رمز الأخوة والمحبة وعربون الصحبة المتينة بينهن .

هذه التقليعة جعلت الحب التافه يعميهن عن إدراك مغبة مايفعلن ، فكم سبب ذلك من المشكلات الجسام ، وكان تبادل الصور هو مفتاح الشر فيها وسبب في فضيحة الكثيرات !

وفي التعامل الإسلامي لاإفراط ولاتفريط ، فلا نبالغ في رفع الصاحبة عن منزلتها ، ولانهمل حقها .

هذا ورغم ظلمة التعامل الحالك بين الكثيرات ، تضيء نماذج خيرة تحكي للجميع قوة الإيمان وثبات العقيدة . وماحسن الصحبة وأداء حقها إلابعض ثمراته. ودليل الالتزام بالشرع .

* من لي بصاحبة تكون عوناً على الخير داعية إلى الفضيلة تتجهز لتكون بحق مناراً يهدي إلى الطريق ؟!

* من لي بصاحبة تنتصر على نفسها وتميت فيها كل خواطر السوء . وتسقط من قاموسها كل ألفاظ الشرور والآثام ؟!

* من لي بصاحبة ثابتة على مبدئها ، راعية للأمانة والعهد الذي أخذه الله عليها ؟!

* من لي بصاحبة لاأجد غضاضة في أن آكل من بيتها كما أباحه الإسلام لي كما أباحه أن آكل من طعام والدي « **لاجناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم.......أوصديقكم** »

* من لي بصاحبة أبثها شجوني فتتألم لألمي وأشاركها مسرتي فتسرها سعادتي ؟!

المبحث الثاني

كيف تدخلين السرور على قلب أختك المسلمة ؟

١- مراعاة آداب الحديث وإتقان فن الكلام .

٢- إتقان الآداب الشرعية والمجاملات المباحة .

٣- إفشاء السلام والدعاء للأخوات .

٤- التشميت عند العطاس وآداب أخرى .

٥- حسن معاملة أبناء الصديقات .

٦- لاتجاملي على حساب الشرع الحنيف .

٧- الالتزام بمكارم الأخلاق .

١ـ مراعاة آداب الحديث وإتقان فن الكلام:

إن الإسـلام يؤصل في المجـتـمع الذوق الاجـتـمـاعي الراقي ، ومـاطيب الكلام إلاباب من أبواب ذلك الرقي .

بالكلمة الطيبة يسود الإئتلاف والأنس . وبالتودد والملاطفة تملك المسلمة شغاف قلب صاحبتها وتحملها على حبها .

والنصوص متضافرة على الترغيب في الكلام الحسن والبعد عن سيئه :

قال تعالى :« **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن** » [الإسراء :٥٣]

وقال جل شـأنــه :« **قــول معـروف ومغـفرة خير من صدقـة يتبعهـا أذى** » [البقرة : ٢٦٣]

وقال عليه الصلاة والسلام :« **الكلمةالطيبةصدقة** »

هذه آداب شرعية ينبغي الإلتزام بها ، وفيها كل الخير لدوام المودة .

* فالأخت الصالحة والصديقة الناصحة هي التي يفيض كلامها إخلاصاً وطهراً ويضفي الخير على القلوب المستمعة له .

إنها تحسن كلامـهـا كما تحسن في إخلاصـهـا وبذا تؤثر فيمن تستمـعـهـا ، وتدفعها إلى العمل الصالح وتبعدها وتنفرها من كل القبائح ، وتنفخ فيها روحاً خيرة تبني ولاتهدم .

إنه الكلام فيما فيه فائدة المسلمين ، أو رفع معصية ، وإلافالصمت شأنها عملاً بحديث الرسول ﷺ : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**» متفق عليه.

فكلامها لا لتمضية الوقت ، ولا ليقال فلانة اجتماعية متكلمة.

وفي أدب الحديث ، اهتم العقلاء والمربون بذكر ضوابطه فقد قيل :

« واعلم أن لسانك أداة مصلتة يتغالب عليه عقلك وغضبك ، وهواك وجهلك ، فكل

غالب عليه مستمتع به ، وصارفه في محبته . فإذا غلب عقلك فهو لك . وإن غلب عليه شيء من أشباه ماسميت لك فهو لعدوك »(١)

وقد قال الشاعر :

الصمت زين والسكوت سلامة فإذانطقت فلاتكن مكثاراً
فلئن ندمت على سكوت مرة فلقد ندمت على الكلام مراراً

– تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، «ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى ينقضي حديثه . وقلة التلفت إلى الجواب . والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول »(٢)

ـ «وإذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته أويخبر خبراً قد سمعته فلاتشاركه فيه ، ولاتتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته . فإن في ذلك خفة وسوء أدب وسخفاً »(٣)

وعن الحسن رضي الله عنه قال : «حدثوا الناس ماأقبلوا عليكم بوجوهكم فإذا التفتوا فاعلموا أن لهم حاجات » أخرجه الدارمي .

ومن أدب الحديث أن تراعي مشاعر صاحبتها فلا تختص واحدة بالحديث السري وتهمل الأخرى اقتداء بأدب النبوة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا كنتم ثلاثة فلايتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه** » متفق على صحته.

قال البغوي :(إنما يحزنه ذلك لأحد معنين : أنه ربما يتوهم أن نجواهما لتبييت رأي فيه ، أودسيس غائلة له . والآخر أن ذلك من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه ، أما المسارة في الجمع فلابأس بها)(٤)

---

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير / ١١١ .
(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير / ١٣٩ .
(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير / ١٠٧ .
(٤) شرح السنة / ج ١٢ / ص ٩ .

٢- اتقان الآداب الشرعية والمجاملات المباحة :

فالمسلمة تحسن المجاملات التي تفرح صاحبتها ، فهي طلقة المحيا ، لينة القول، تدخل قلب أختها بالتحية الحارة ، والمعاملة المهذبة ، تصغي إلى حديث الرسول ﷺ : **« ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه »** رواه الطبراني في الأوسط .[(١)]

فتتعلم منه الطريقة التي تجعل الود خالصاً ، إنها مراعاة مشاعر الصاحبة المسلمة وحسن التقدير لها .

ولعل في هذا الحديث تذكير لأخوات لايعرفن أسماء صديقاتهن ، تمر فترة من التعارف والصحبة ، ثم تقول إحداهن : أنا أعرف وجهها ولاأعرف اسمها !

لماذا لم تعرف اسمها ؟ اللهم إلا إذا نسيته، هلا سألت عنه ! ومن ثم تناديها بأحب أسمائها إليها . فذاك أدعى للمودة، وتمتين الصلة، ودوام الصداقة.

وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: «ليس المعرفة أن تعرف الرجل حتى تعرف اسمه واسم أبيه، وإذا مات شهدت جنازته» [(٢)].

٣- إفشاء السلام والدعاء للأخوات:

وكذلك من حق صاحبتها أن تسلم عليها استجابة لقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾**.

إن حبها لصديقتها لا يجعلها تتباسط معها حتى في ترك آداب الإسلام. فلا تدخل دون استئذان ... ولا تفاجئها بالدخول وهي غير مستعدة لذلك ... ولا تطرق بابها في كل لحظة من غير مبرر معقول ...

ومن ثم تحييها بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة، السلام عليكم. وليست كتحية

---

(١) الترغيب والترهيب / ٣ ج – ص ٥ ٢ ٤ .

(٢) شرح السنة / ج ١٢ / ص ٦٧ .

أهل الجاهلية القديمة ؛ عموا صباحاً ولا الجاهلية الحديثة: مرحباً، صباح الخير.

وقد نظم الإسلام طريقة الإستئذان:

في الصحيحين عن جابر قال: أتيت النبي ﷺ فدققت الباب، فقال: «*من ذا؟*» فقلت : أنا، فقال: «*أنا أنا*» كأنه كرهها.

ولما استأذنت أم هانىء قال لها: «من هذه؟» قالت: أم هانىء فلم يكره ذكرها للكنية» [1].

ومن ثم ترد التحية بأحسن منها أو على الأقل بمثلها لقوله تعالى: ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ [النساء : ٨٦].

وكان رسول الله ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين. ويتحمل السلام لمن يبلغه إليه.

كما تحمل السلام من الله عز وجل على صدّيقة النساء خديجة بنت خويلد لما قال له جبريل: هذه خديجة قد أتتك بطعام فاقرأها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة. وقال للصدّيقة الثانية عائشة بنت الصديق: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته» [2] قال النووي: في هذا الحديث مشروعية إرسال السلام.

«ويجب على الرسول تبليغه لأنه أمانة. وفيه إذا أتاه شخص بسلام من شخص آخر في ورقة وجب الرد على الفور» [3]

ورد السلام لا يكون بالإشارة باليد إلا في الصلاة، كما ثبت ذلك في عدة أحاديث فليس من أدب الإسلام ماتعمله البعض من رفع اليد (دون مبرر) كناية عن السلام . يعملن ذلك بدافع إظهار الظرافة وخفة الروح .

وبعد السلام تكون المصافحة المسنونة رغبة في الثواب :

---

(١) زاد المعاد / ٢ - ٢٨ .

(٢) زاد المعاد / ٢ - ٢٥ .

(٣) فتح الباري / ٢ - ٤١ .

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :«**إن المسلم إذا لقي أخاه فأخذ بيده ، تحاتت ذنوبهما كما يتحاتت الورق من الشجر اليابسة في يوم ريح عاصف ، وغفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر**» (١)

٤. التشميت عند العطاس وآداب أخرى:

يالروعة مجالس المؤمنات ، فيها تهش المسلمة للقاء أختها ، تعاملها برفق وتودد ، ولاتترك فرصة للتواصل إلا وتنتهزها :

عن المقداد بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال :« **إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه** » (٢)

فإذا أخبرتها استمالت بذلك قلبها واجتلبت ودها .

فباللباقة والكياسة وتطييب النفوس بالكلمة الحلوة تدوم المودة ، جاء أبو يوسف القاضي إلى إبراهيم الحربي فقال : «ياأبا إسحاق ، لو جئناك مقدار واجب حقك لكانت كل أوقاتنا عندك .

فقال : ليس كل غيبة جفوة . ولاكل لقاء مودة ، وإنما هو تقارب القلوب »

فهو كلام رقيق دون إطراء أو مبالغة في المدح . فذلك منهي عنه ، إذ أن الرسول ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل ويطريه فقال : « **لقد أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل !** »

ومن ثم لاتعيب مايقدم لها من الطعام بل تمدحه جبراً للخاطر .

فقد سأل الرسول ﷺ أهله عن الإدام فقالوا : ماعندنا إلا الخل . فجعل يأكل منه ويقول : «نعم الإدام الخل» «وليس في هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق ، وإنما هو مدح له في تلك الحالة التي حضر فيها . ولو حضر لحم أو لبن كان أولى بالمدح منه » (٣)

---

(١) السلسلة الصحيحة / ٢ - ٨٨ .

(٢) اسناده صحيح - ينظر صحيح الجامع الصغير / ج ١ / ١١٢ .

(٣) زاد المعاد / ٢ / ٢٢ .

فلتعتبر من تتظاهر بعدم الرغبة في الطعام رغم أنها تشتهيه ، وأكثر مايكون ذلك في الإحتفالات والولائم ، فذلك يغضب صاحبتها ، ويكتب كذباً في سجل أعمالها هي :

عن أسماء بنت يزيد قالت : يارسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لاأشتهيه ، يعد ذلك كذباً؟

قال : « **إن الكذب يكتب كذباً ، حتى تكتب الكذيبة كذيبة** » رواه أحمد.

لم يترك الإسلام أدباً يقوي الروابط إلا ودعا إليه ، ولاحقاً من حقوق المسلم والمسلمة إلاحثنا عليه . فحق المسلم على المسلم خمس : «رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس» رواه البخاري ومسلم . وقال ﷺ « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أوصاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل : ليهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخاري .

قال ابن دقيق العيد : (ومن فوائد التشميت : تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين ـ وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر ، والحمل على التواضع . لما في ذكر الرحمن من الإشعار بالذنب الذي لايعرى عنه أكثر المكلفين) [1].

ومن آداب العاطس أيضاً : خفض الصوت بالعطس ورفعه بالحمد . وتغطية الوجه لئلا يبدو من الفم أو الأنف ما يؤذي الجليسة . فالمسلمة حسنة المظهر أبداً ، لاتنفر جليستها بما يؤذي عينها ، أويقزز نفسها أويسيء إلى مشاعرها فلا تشعر جليستها بالسآمة من الجلوس معها أو الملل أو النعاس . فإن داهمها التثاؤب فإنها تتبع الهدي النبوي فيما رواه البخاري عن الرسول ﷺ قال : « **إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع** »

حتى التجشؤ فللرسول ﷺ موقف منه يدل على رقة المشاعر وسمو تعاليم هذا الدين : فقد قال ﷺ لمن تجشأ بحضرته : «**كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعاً في**

---

(٢) فتح الباري / ١٠ / ٦١٨ .

الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » (١)

وهكذا : تبعد عن إيذاء الجليسة بأي من ألوان الأذى ولو كان ذلك برائحة العرق أو الجوارب أوماله رائحة كريهة أو أثر الطعام كالسمك ونحوه ، بل إن من أكل البصل والثوم أمر بإعتزال الجماعة حتى يذهب ريحها »(*)

الصاحبة المؤمنة لاتفتأ تعمل لأختها المسلمة ضروباً من المسرات التي يدعو لها الدين وتفتح لها مغاليق القلوب .

تدعو لها بالخير متأسية بالرسول ﷺ : كان ﷺ يدعو لمن تقرب إليه بما يحب ، وبما يناسب . فلما وضع له ابن العباس وضوءه قال له : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» .

ولما دعمه أبو قتادة في مسيره بالليل ، لما مال عن راحلته قال : « **حفظك الله بما حفظت به نبيه**» . وقال : «من صنع إليه معروف فقال لفاعله : **جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء** » (٢)

وإن رأت ماتحب فهي تلتزم بالسنة وتقول كما كان ﷺ يقوله : كان ﷺ إذا رأى مايحب قال : «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** » ، وإذا رأى مايكره قال: « **الحمد لله على كل حال** » (٣)

لاكما تقول بعض المتظرفات ممن يجاملن بطريقة بعيدة عن الشرع : فما إن ترى المرأة ما يعجبها إلا وتقول : امسكي الخشب ، ونحو ذلك من الكلام فهلا قالت ما شاء الله . وإن رأت ما يسوء خاطرها قالت بتبرم ونفور « كش برة وبعيد » ونحو ذلك هلا قالت : الحمد لله على كل حال .

---

(١) الحديث حسن : رواه الترمذي والبيهقي – ينظر صحيح الجامع الصغير / ٢ / ٨٢٨ .

(*) من ذلك حديث الرسول ث : « من أكل هذه الشجرة (الثوم) فلا يقربنا ولايصلي معنا » متفق عليه /

(٢) زاد المعاد – ج ٢ / ٢٦ .

(٣) رواه البيهقي وهو صحيح – ينظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ٨٦١ .

٥ـ مع أطفال صاحبتها:

إنها معاملة أخوية رقيقة تتعدى الصديقة إلى أهل بيتها . تلاطف صغارها ، تمنحهم من حنانها ، تحسن إليهم وتفرحهم .

فهذا سيد البشر يلاطف طفلة مسلمة ، ويتركها تلعب ويمازحها .

وقد صنف الإمام البخاري في باب من ترك صبية غيره تلعب به أو قبلها أو مازحها : « عن أم خالد بنت سعيد ـ وكان والدها قد هاجر إلى الحبشة ، فولدتها أمها هناك ـ أن الرسول ﷺ قال : « **ائتوني بأم خالد** » ، فأتي بي أحمل ، فألبسنيها (يعني الخميصة) وقال لها لما كساها الحلة : « سفة سينة » أي حسنة بالحبشية .

قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة . فزجرني أبي . فقال رسول الله ﷺ دعها. ثم قال ﷺ لها : «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي»[1]

* كانت هنالك صديقة عطوف ، تتودد إلى صغار صديقتها ، وتجلب لهم في محفظتها بعض الحلوى كلما زارتهم ، لعل هذه الحلوى كانت مواساة لهم لإنشغال أمهم معها ...

وكان الأطفال يختصونها بالترحيب ، ويفرحون لزيارتها ، بل ويترقبونها بلهفة . وصارت تلك الصديقة تعرف لهفتهم المفرطة .

وفي إحدى المرات ، تعمدت وضع المحفظة جانباً ، ولم تعط الصغار مما اعتادت أن تعطيه لهم .

فجلس الصغار قريباً من المحفظة ، ونظراتهم متعلقة بها، ولسان حالهم يقول : « متى ستفتح المحفظة » ؟!

إن الصغار تفرحهم الهدية على بساطتها ، كما تفرحهم الكلمة الطيبة ، والبسمة العذبة ، وقلم التلوين وقطعة الحلوى ، أو مداعبتهم وسماع ماحفظوه من

---

(١) ينظر فتح الباري ١٠ / ٩ ٢ ٤ وكذا الإصابة ٤ / ٨١ ٢ .

كتاب الله أو أناشيد ظريفة .

واللطف مع الصغار ومراعاة أحوالهم يمتن العلاقة مع الأهل ، ويزيد من الترابط الإجتماعي . فلاتستهيني ولو بالنظرة الحانية لهم وملاعبتهم .

وليس معنى ذلك أن تكون الجلسة سماع أحاديث الأطفال ، سواء كانوا للمرأة أولصاحبتها ... فالاعتدال هو الفيصل .

وليس من حسن معاملة الأطفال أن تسمع المرأة الكلام المعيب من أولاد صديقتها فتستعذب سماعه وتكيل للأطفال المدح ، ثم تطلب منهم إعادة الكلام ...!

أليس في ذلك تشجيع للنشء على الشر ؟!

إنها لو كانت تحب صديقتها حقاً ، لجعلت من نفسها عوناً لها حتى في التنشئة الصالحة لأبنائها ، عدة الأمة المسلمة .

وبالمقابل ، فإن وجدت من الصغار الخطأ ، لاتدعو عليهم بسوء كما تفعل بعض الجاهلات ، اللاتي تدفعهن المباسطة مع صديقتهن إلى الدعاء على أطفالها إن أخطأوا :

كقولها : كسرت يده ، وجع ونحو ذلك من قاموس الدعاء البغيض (١)

٦. المجاملة لاتكون على حساب الشرع:

إن الحرص على إظهار الود ومجاملة الصاحبة يجب ألايدفع إلى ارتكاب الإثم لأجل ذلك ، فترضيها ولو أدى ذلك إلى غضب الله ... وتكون النتيجة أن تخسر حتى صاحبتها !

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه . ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه

---

(١) ينظر كتابنا – تربية الأطفال في رحاب الإسلام ففيه تفصيل في هذا الموضوع .

في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه ».[1]

أختي المسلمة :لا تجاملي على حساب الشرع :

« فأولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فيسكت عنها ويتغاضى عنها يسمي ذلك تسامحاً أويسميه دهاء أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية الرأي !!

وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله ، وهو يموه على نفسه في أول الطريق حياء منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعة والهوان ..

فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس فإما أن يدفع وإما أن يقاطع المجلس وأهله أما التغاضي والسكوت ، فهو أول مراحل الهزيمة . وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق » [2]

وقال تعالى : **﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذاسمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾** [النساء:١٤٠]

فالكلمة الطيبة الواعية سهم من سهام الخير ، تصيبين بها أعداء الله . وتنقذين أولياءه فلاتستهيني بهذا الباب من الخير . أشفقي على صاحبتك إن أخطأت ، واحرصي على ابعادها عن الهلاك ، إن كنت مخلصة في حبها !

٧- الالتزام بمكارم الأخلاق :

من الصدق والوفاء بالوعد ، والأمانة وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الدين ، والبعد عن خلافها من كذب ونحوه .

والصدق في القول والوعد من خلق الأنبياء والمرسلين قال تعالى : **﴿واذكر في**

---

(١) رواه الطبراني باسناد جيد قوي / الترغيب والترهيب / ١ / ٢٠٠ .

(٢) الظلال – م ٢ / ٧٨٠ .

الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ [مريم : ٥٤]

والكذب أحد إمارات النفاق كما جاء فيما رواه أبوهريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان** » (١)

فلتفكر إحدانا قبل أن يتفلت لسانها بالمواعيد ، ولاتلعب بعواطف صاحبتها فتعد مالاتقدر عليه وإذا وعدت فلتف بالوعد . لتكون ممن مدحهم الله بقوله : **﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾** [البقرة : ١٧٧] ، لتذكر من تسارع بوعد صاحبتها بأن تزوج ابنتها أوابنها أوأخيها ، ثم تعتبر ذلك من لغو الكلام ...! ثم إن ابنها أوابنتها فضلاً عن أولاد الغير ، ليسو ملكاً لها تتصرف بهم كيف تشاء ، فعلام يتفلت لسانها بالوعود ؟!

(الكذب مرض يقلب الموازين ويمسخ الحقائق ويشوه الجمال في كل شيء يداخله . ولن تجد جريمة تجر ذيولها إلا وهي مطلية بطلاء من الكذب والزور . ولو تكلم الكذب لقال : أنا سلاح الجبابرة . ودرع المنافقين وزاد الفاشلين وشبكة المخادعين وملجأ المجرمين)(٢) (إنه رذيلة محضة تنبيء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك ينشيء الشر إنشاء ويندفع إلى الشر من غير ضرورة مزعجة أوطبيعة قاهرة ... هناك رذائل يلتاث بها الإنسان تشبه الأمراض التي تعرض للبدن ولايصحو منها إلا بعد علاج طويل ، كالخوف الذي يتلعثم به الهيابون ، أو الحرص الذي تنقبض به الأيدي .

وقد يكون هناك أعذار لمن يشعرون بوسواس الحرص أو الخوف عندما يوقفون في ميادين التضحية والفداء !! ولكنه لاعذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقاً ويعيشون به على خديعة الناس : قال رسول الله ﷺ : « **يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب** » رواه أحمد . وسئل رسول الله ﷺ : « **أيكون المؤمن جباناً ؟ قال :**

---

(١) متفق على صحته .

(٢) السلوك الإجتماعي في الإسلام / ١٤١ .

نعم . قيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال: لا » رواه مالك[1] .

كم أتألم من شيوع عبارة : أصحيح ماتقولين ؟

تقولها الصاحبة بكل عفوية تعبيراً عن الدهشة والاستغراب .

ولعل هذا ناتج من شعورها بمدى الكذب الذي أصبح يعم وينتشر . أوعلى الأقل من المبالغات والتهويل التي طغت .

ولو وزنت الأمر بميزان الشرع ، لعلمت أن « المؤمن لايكذب » كما ذكر الرسول ﷺ ولما سألت بذلك ، بل اكتفت بأن تعبر عن استغرابها بأي كلمة مشروعة مثل : « سبحان الله » ونحو ذلك . نسأل اللهم قلباً سليماً ولساناً صادقاً مستقيماً .

الدعاء للصاحبة في الحياة وبعد الموت:

ارفعي يديك وادعي لصاحبتك المؤمنة فإنه جاء في الحديث الصحيح :

« **إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك** » أخرجه مسلم .

هذا ماجعل سيد الخلق رسولنا الكريم ﷺ يطلب من عمر رضي الله عنه أن يدعو له في العمرة :

عن عمر رضي الله عنه قال : استأذنت الرسول ﷺ في العمرة فأذن لي وقال : « **لاتنسنا يا أخي من صالح دعائك** » أخرجه أبو داود والترمذي .

وقال له رجل : إني أريد سفراً فقال :

أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف . فلما ولى قال :

« **اللهم ازو له الأرض وهون عليه السفر** »[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ

---

(١) خلق المسلم للغزالي / ٣٦ - ٣٧ .

(٢) زاد المعاد / ٢ / ٣٣ .

بيده ، فلايدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ، ويقول : « **استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك** » [(١)]

وكان ﷺ لايكاد يقوم من مجلس إلادعا بهؤلاء الكلمات لأصحابه : « **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولاتجعل مصيبتنا في ديننا ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا ولاتسلط علينا من لايرحمنا** »[(٢)]

دعوات صادقة نضرع بها إلى الله ، ندعوه لنا ولأخواتنا المؤمنات : اللهم اجعل التقوى زادنا ، واجمع على الهدى أمرنا ، واجعل الجنة مآبنا .

* وإذا لبت المسلمة نداء ربها ، فلا تسبها صاحبتها ، ولاتذكرها بسوء ، فإنها عند رب عادل كريم ، بل تدعولها بالرحمة والمغفرة ، وتذكرها بخير استجابة لحديث الرسول ﷺ :« **اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم** » [(٣)]

وعن عائشة قالت : قال النبي ﷺ : « **لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا** » رواه البخاري

---

(١) صحيح رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي - ينظر صحيح الجامع الصغير / ٢ / ٨٧٠ .

(٢) اسناده حسن / أخرجه الترمذي وحسنه وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري - ينظر شرح السنة / ٥ / ١٧٤ .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي - ينظر شرح السنة / ٥ / ٣٨٧ / ، أفضوا : وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتاً . أما أموات الكفار والفساق فيجوز ذكر مساويهم للتحذير منهم والتنفير منهم / شرح السنة / ٥ / ٨٨٧ .

المبحث الثالث

آداب الزيارة بين الصديقات

١- الاعتدال في المخالطة وضوابط ذلك .

٢- حسن الإستقبال .

٣- الاستفادة من أوقات الزيارة .

٤- العيادة عند المرض والمواساة عند النوائب .

٥- التعزية عند الموت ، والآداب المشروعة .

٦- المشاركة في السراء والضراء . التبشير بالخير - والغناء للعروس - التهنئة عند الفرح - الهدية بلا تكلف - المساعدة عند الضائقة .

٧- إشاعة الأنس بالنكتة الطريفة والمزاح الوقور .

« المبحث الثالث »

آداب الزيارة بين الصديقات

١ـ الاعتدال في المخالطة وضوابط ذلك:

الزيارة في الله مطلب مهم يزيد المودة ، ويقوي روابط التآخي . ومما أثر عن الشافعي رحمه الله قوله :

الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة . والانبساط إليهم مجلبة للسوء . فكن بين المنقبض والمنبسط.

فخير الأمور أوسطها ، والمصلحة الشرعية هي المقصودة من الزيارة عموماً . وقد تحدث علماؤنا عن ذلك .

قال الإمام البغوي رحمه الله : زيارة الإخوان مستحبة ، وينظر الزائر في ذلك فإن رأى أخاه يحب زيارته ويأنس به ، أكثر من زيارته والجلوس عنده . وإن رآه مشتغلاً بعمل أو رآه يحب الخلوة ، أقل من زيارته حتى لايشغله عن عمله .

واحتج محمد بن اسماعيل (البخاري) في المداومة على الزيارة ـ حيث كان رحمه الله يرى ذلك ـ بحديث عائشة رضي الله عنها قالت : «لم أعقل أبواي وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشياً » [١] والزيارة للدعوة إلى الله ، أو عيادة المريض ، أو القيام بواجب مشروع لها فوائدها الجمة ، التي لاتخفى على أحد .

* قد يكون في كثرة الاختلاط الأذى والكدر ، وقد يكون فيها إضاعة الوقت . والمؤمنة جادة لاتبدد الوقت في التوافه ، ولاتهدره في السخافات . وقد يكون من المشاهد المكرورة للزيارة غير الهادفة :

– تلك التي تهمل بيتها وأولادها ، وتشغل بزياراتها وصاحباتها .... يعود

---

(١) شرح السنة / ١٣ / ٥٩ .

زوجها من العمل فماذا يجد ؟! البيت تعمه الفوضى !

كل مافيه بعيد عن التنظيم ، والأولاد يصرخون ويتضاربون ويشتكون ... وحق لهم ذلك ، متى ستفرغ أمهم لتربيتهم ؟!

وهذه هي صورة للزيارات الشائعة في هذا العصر .

مما يسبب الضجر لأفراد الأسرة عموماً ، وإهمال الزوجة لواجباتها الأسرية .

قال ابن القيم رحمه الله :

« أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة : إضاعة القلب وإضاعة الوقت .

فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة . وإضاعة الوقت من طول الأمل . فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل . والعلاج كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء الله » (١)

« وفي كثير من الزيارات النسائية في وقتها الحالي يظهر إجتماع هاتين الإضاعتين (إضاعة القلب وإضاعة الوقت) حيث تمضي الكثيرات الجلسة في اللعب والثرثرة أو اللهو والرقص والغناء فضلاً عن ألوان أخرى من المنكرات » (٢)

ورغم قسوة الوحدة ومافيها من ضرر قيل فيها : « الوحدة خير من جليس السوء » فإن كان في الوحدة تفرغ للعبادة فهي أفضل من المخالطة .

وإن كان في العزلة تخلص من المعاصي كالغيبة والرياء ونحوها فهي أفضل من المخالطة . وإن من المقاصد الدينية والدنيوية مايستفاد بالاستعانة بالغير ، ولايحصل ذلك إلابالمخالطة . فكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة . وفواته من آفات العزلة .

فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها وهي : التعليم والتعلم . والنفع

---

(١) الفوائد / ١١٢ .

(٢) الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة / ١٩ .

والانتفاع . والتأديب والتأدب . والاستئناس والإيناس . ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها »[1]

ويدعو ابن الجوزي للعزلة ويبالغ في ذلك :

إنه يرى أن العزلة عن الخلق سبب طيب العيش ، ونظرته أن أعز الأشياء وجود صديق . ويقول :

« ماأعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق خصوصاً للعالم والزاهد . فإنك لاتكاد ترى إلاشامتاً بنكبة ، أوحسوداً على نعمة ، أومن يأخذ عليك غلطاتك .

فياللعزلة ماألذها سلمت من كدر غيبة وآفات تصنع ، وأحوال المداجاة ، وتضييع الوقت ..... ومازال يمدح العزلة إلى أن يقول :

فلو لم يكن في العزلة إلاالتفكير في زاد الرحيل والسلامة من شر المخالطة كفى» [2]

والضابط النافع في أمر الخلطة (كما ذكر ابن القيم رحمه الله) :

أن يخالط الناس في الخير ... فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر الحذر أن يوافقهم . وليصبر على أذاهم فإنهم لابد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولاناصر... فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً .

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات ، فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه . ويشجع نفسه ويقوي قلبه ...

فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين . وليكن فيهم حاضراً غائباً ، قريباً بعيداً ...

---

(١) إحياء علوم الدين / ج ٢ / ٣٦٦ .

(٢) صيد الخاطر / ٢٣٩ .

لأنه من أخذ قلبه من بينهم ، ورقى به إلى الملأ الأعلى ، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية »[1]

والمسلمة ألفة مألوفة ، تواد المسلمات وتأنس بهن . وهذا يعينها كمسلمة داعية للخير ، تؤدي الرسالة ، وتوجه الأجيال ، وتساهم في بناء مستقبل الأمة .

أما من رضيت لنفسها اعتزال الأخريات فقد تخسر فرصة للتوجيه والتعليم ، وإثراء الفكر وتنقيته من الشوائب والشبهات .

(إن مجالس الصالحات من النساء التي يذكر فيها الله ، وتدور الأحاديث النافعة الجادة تحفها الملائكة ويظلها المولى سبحانه برحمته . وبمثل هذه المجالس تزكو النفوس ، وتنجلي العقول ، وتصقل الأرواح .

فخليق بالنسوة المؤمنات أن يكثرن منها ، ويجنين ثمارها اليانعة ، نفعاً وفائدة في الدنيا ومقاماً محموداً في الآخرة)[2]

فالأنس روح للقلوب والوحشة روع لها . لذلك كان من أقسى العقوبات وأشدها السجن الإنفرادي ، يعاني به المعاقب ، ويقاسي به المر ، ولوكان في أجمل المباني وقدمت له أطايب الطعام .

ففي المخالطة استفادة من تجارب الناس ومعرفة أحوالهم . وفيها المؤانسة والترويح عن النفس . وفيها مجال لنفع المسلمين وقضاء حوائجهم .

*إلا أنه من أدب الصحبة أن لاتكون الزيارة عبئاً بل مجالاً لتنفيس الكربة ومساعدة الصديقة والتخفيف عنها ، والتناصح معها لاإضاعة الوقت . فقد تكون عند المرأة المهمات التي تثقل كاهلها ، وهي أحوج ماتكون إلى كل دقيقة تمر ...

ولذلك تقدر ظروف الزيارة ، حسب وضع الصديقات ، ومدى مشاغلهن ويبنى ذلك على المصارحة..قال تعالى : « **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو**

(١) مدارج السالكين ج ١ / ٤٩٠ .

(٢) شخصية المرأة المسلمة / للهاشمي / ٤٦٨ .

أزكى لكم » [النور : ٢٨] هذا وقد تكون الزيارة واجبة . كما في إجابة الدعوة .... في حفلة الزواج، أو العقيقة أونحوها :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أونحوه** » (١)

على ألا يكون فيها محذورات شرعية (من ملاهي ومغنيات وراقصات) بل الغناء المشروع للعروس والضرب بالدف لا الغناء العابث . وآلات الطرب المحرمة . وفي غربة هذا الدين وقد ابتعدت الكثيرات عن العمل بتعاليمه . يبدو الإلتزام بها في الأفراح أكثر صعوبة .

فإن عزم أهل العرس على عدم سماع الموسيقى ، والغناء المحرم ، فهل كل المدعوات هكذا ؟!

قد نجد من تتبرع من المدعوات بوضع الأشرطة المحرمة وفي رأيها العليل أن ذلك مساهمة منها ، ومشاركة لأفراح أهل العرس .

فما موقف المسلمة إزاء مثل ذلك الموقف ، وهي الحريصة على إنكار المنكر ؟! إنها في فرح ، فهل تحوله إلى ساحة معركة ؟!

وقد يكون في ذلك منكر أكبر ، إننا نريد النتيجة الطيبة دون مشادة وخصام .

– قد ترفع الشريط المحرم وتضع بدله شريطاً لا محظور فيه – والحمد لله ذلك أضحى ميسوراً –

– إن وجدت فتيات منشدات ، استعانت بهن لتشيع البهجة والمسرة ولسان حال الجميع يقول : هذا هو الفرح الذي يجب أن يشجع . وكلنا يجب أن يحي الفرح الإسلامي ويشجع عليه .

– وإن علمت أن خروجها منه يفيد تخرج بلا مواربة .

– وإلا تكتفي بالإنكار في القلب وذلك أضعف الإيمان .

---

(٣) رواه مسلم .

ويبقى الضابط هو تعاليم ديننا ، وليست العادات والتقاليد والمجاملات المحرمة . وإذا علمت الفتاة المسلمة أن في حفلة العرس محذوراً فلتعتذر عن إجابة الدعوة بلا تردد .

وقد دعي بعض العلماء فلم يجب[1] فقيل له : إن السلف كانوا يدعون فيجيبون فقال : كانوا يدعون للمؤاخاة والمواساة . وأنتم اليوم تدعون للمباهاة والمكافأة . وقد نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتبارين أن يؤكل .

٢ـ تحسن استقبالها حسب المشروع :

فقد أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال : « كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذاقدموا من سفر تعانقوا »[2]

ومن آداب الزائر أن لايقترح طعاماً بعينه ، وإن خير بين طعامين اختار أيسرهما إلاأن يعلم أن مضيفه يسر باقتراحه ولايقصر عن تحصيل ذلك . هذا وتراعي كل آداب الطعام من البسملة والأكل باليمين والأكل مما يليها فضلاً عن آداب مستقاة من الشرع ذكرها الفقهاء ومنها :

(أن يقصد كل منهم الإيثار لرفيقه ، ولايحوجه إلى أن يقول : كل بل ينبسط ولايتصنع بالانقباض. ومن ذلك أن لا ينظر إلى أصحابه حال الأكل لئلا يستحيوا ، ومن ذلك أن لايفعل مايستقذره من غيره. فلاينفض يده في القصعة . ولايقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه .

وإذا أخرج شيئاً من فيه ليرمي به صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيسراه)[3]

وأخيراً تدعو لأصحاب الوليمة ، ويستحسن الدعاء بالمأثور :« **أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة ،وأفطر عندكم الصائمون** » [4]

---

(١) شرح السنة / ٩ / ١٤٣ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط . ورجاله رجال الصحيح .

(٣) إحياء علوم الدين ج ٢ / ١١ – ١٨ .

(٤) أخرجه أحمد واسناده صحيح / شرح السنة / ١٢ / ٢٨٢ .

٣- الإستفادة من أوقات الزيارة:

تحسن الإستفادة من أوقات الزيارة لتعلم ماينفع من كتابة وغيرها : مقتدية بسلفنا الصالح من أمهات المؤمنين :

كانت الشفاء من عقلاء النساء ، وفضلائهن . وكانت من المهاجرات . قال لها الرسول ﷺ وهي قاعدة عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها :

«ماعليك أن تعلمي هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»[١] فتعلمها ماينفعها وتنمي مهاراتها .

فبالعلم تنضج شخصية المسلمات . وبالوعي والمعرفة يستطعن مواجهة التحديات المعاصرة الكثيرة. إننا إن لم نعمل جميعاً ، ولم تساهم النساء في مجالسهن لإعداد العدة التي ترهب أعداء الله ، ولم نفق من كبوتنا ... تكون المرأة أول ضحايا الرقاد الطويل ، ودموعها المنساحة لتحكي الشقاء المر الذي يخلفه التراخي والكسل ، لن ترد مافرطت به ......! فعلى الصاحبات المسلمات أن يعملن معاً لتحصين أنفسهن ، التحصين الروحي والثقافي وذلك لتؤدي المسلمة رسالتها كما ينبغي . فأكثر مايؤتى المسلمون من جهلهم .

فالجهل يجعلهم يفرّطون في اتباع دينهم ... والجهل يجعلهم يغالون في التطبيق فتكون البدع والإنحراف.

ففي الزيارة مجال ميمون لتلاوة القرآن الكريم، بتدبر وحضور قلب، بعيداً عن الغفلة. وقد تحفظ الصاحبات ما يستطعن من آياته الكريمة، ويتذاكرن حفظه، وينفذن أحكامه، وفي الزيارة وقت مبارك لمدارسة الهدي النبوي الكريم. وفي الزيارة فرصة لتنهل من ينابيع المعرفة التي قد لا تحصل عليها في المدارس الرسمية.

---

(١) ينظر الإصابة / ٤ / ٣٢٢ .

٤ـ العيادة عند المرض والمواساة عند النوائب:

لقد اهتم علماء السلف بالآداب الإجتماعية ، وصنف الهيثمي كتاباً سماه : «الإفادة لما جاء في المرض والعيادة » ومما جاء في آداب العيادة :

أن يخففها لأحاديث بذلك ، مالم يعلم أويظن من المريض إرادة التطويل، لتأنسه بالعائد ونحوه . وينبغي للشاك في ذلك سؤاله ، والعمل بمايبديه لاعن حياء ..... وضبط التطويل المخالف للسنة : ليس بأن يضجر المريض أويشق على أهله . بل تكفي أدنى مشقة تلحقه بالتطويل . ومجرد مشقة الأهل لاعبرة بها مع تأنس المريض بالعائد واحتياجه لسؤاله ونحوهما .

فالوجه : إناطة الأمر بالمريض دون أهله . وإن استوى عنده الأمران وشق التطويل على أهله فينبغي رعايتهم حينئذٍ .

ومن آدابها : (أن تكون الزيارة غباً أي يوماً بعد يوم لحديث بذلك)[1]

(وتفريح نفس المريض وتطيب قلبه وإدخال مايسره عليه له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها . فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك ، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي . وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ...)[2]

وقد دعا الإسلام إلى عيادة المرضى من المسلمين فقد جاء في الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : ياابن آدم مرضت فلم تعدني . قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده »[3]

فإن أعيا المسلمة المرض ، تطيب الصاحبة نفسها ، تعطيها الأمل بالشفاء ، تصف لها الدواء إن كانت تحسن ذلك :

---

(١) الإفادة لما جاء في المرض والعيادة / ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) زاد المعاد / ٣ / ١٠١ .

(٣) رواه مسلم في باب عيادة المريض . (أي لوجدت ثوابي الذي لا نهاية لعظمته) .

(عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتدعو بالماء فتصبه في جيبها) رواه البخاري ومسلم .

تدلها على العلاج بالطرق المشروعة : من التداوي وحماية الجسم ووقايته والحرص على قواعد النظافة .

ولاتكون أحاديثها معها دعايات للدجاجلة . كما تفعل البعض ، إذ تقول إحداهن مشيرة على المريضة :

- اعملي كذا ...... وتكون لديها وصفات جاهزة من خرزات للعين ، وأخرى للسحر وثالثة للجن ..

- أوتقول لها : إذهبي إلى فلان (الساحر) لأن المريضة (فلانة) ذهبت عنده وشفيت !

وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك بقوله :

« **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** » أخرجه أحمد وابن ماجه[1]

بل ترقيها بالمأثور : عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : «**اللهم رب الناس أذهب البـاس واشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقماً** » رواه البخاري .

تدعو لها كدعاء الرسول ﷺ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال : « لابأس طهور إن شاء الله » رواه البخاري . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

«من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلاعافاه الله من ذلك المرض » [2] وهكذا ففي زيارة

---

(١) شرح السنة / ١٢ / ١٥٧ / التولة : ضرب من السحر يقال إنه يحبب المرأة إلى زوجها .

(٢) رواه أبو داوود والترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري / ينظر الترغيب والترهيب ٤ / ٣٢٢ .

المريضة إشاعة البهجة في نفسها حتى إذاشفيت وزال سقمها لم تنسى فضل صاحبتها وأياديها البيضاء ، ووقوفها إلى جانبها في ساعة الشدة .

* ومن كانت في مرض الموت : يسن تلقينها « لا إله إلا الله »

لحديث الرسول ﷺ « **لقنوا موتاكم لاإله إلا الله** » رواه مسلم . قال النووي : (والأمر بهذا التلقين أمر ندب . وأجمع العلماء على هذا التلقين . وكرهوا الإكثار عليه والموالاة لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه . ويتكلم بما لايليق وإذا قاله مرة لايكرر عليه) .(١)

٥ـ التعزية عند الموت والآداب الشرعية :

وإذا حلت بها مصيبة من فقد عزيز ، تساهم أختها المسلمة في تعزيتها ومواساتها .

إنها وقد أثقلتها الأحزان ، قد لاتشعر بأي رغبة في تناول الطعام فضلاً عن إعداده . وهنا يأتي دور الصديقة المخلصة : أن لاتتخلى عنها في وقت هي أحوج ماتكون لها فيه .

– تصنع لها الطعام : لما جاء في جعفر قال الرسول ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً » (٢)

إن المشاركة تخفف وقع المصيبة عليها . وتجبر خاطرها وتطيب نفسها . فإن ابتلاها الله بالمحن واختبرها بالمصائب . وجدت قربها صاحبة النجدة في الأزمات، تعينها في محنتها ، تدعوها إلى الصبر وتؤملها بالفرج فتتجلد ، تذكرها بالله فتهون عليها شأن مصيبتها .

عن سعد قال : سئل رسول الله ﷺ عن أشد الناس بلاء قال : «**الأنبياء ثم**

---

(١) شرح صحيح مسلم / ٦ / ٢١٩ .

(٢) حديث حسن صحيح / ينظر شرح السنة / ٥ / ٤٦٠ .

الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على قدر دينه . فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه . وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر ذلك »[1]

فكيف بالمصابة إذا سمعت بهذا الحديث من أختها ، إنه يمسح ما بها من غم ويزيل عنها كل كمد وأسى .

– وإن وجدت عبرات أختها تنثال لوفاة ولدها ، فإنها لاتهدأ ولاترتاح حتى تواسيها فيذهب مابها من وجد وتصبر وتحتسب .

تزيح عنها أثقال همها عندما تسمعها حديث الرسول ﷺ :

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم** » [2] متفق على صحته .

تشفق على صاحبتها وترحم ضعفها وقد أقفرت الدار من صغيرها ، وخفت تغريده بوفاته . فتخفف من مصابها حين تذكرها بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **صغارهم دعاميص**[3] **الجنة يتلقى أحدهم أباه أوقال : أبويه ، فيأخذ بيده كما أخذ بضعة ثوبك هذا فلا يفارقه حتى يدخله الله وإياه الجنة** » أخرجه مسلم .

– وإن مات لها عزيز في حرق أوغرق أوتحت الهدم ، بددت أختها ألمها وأسمعتها من حديث الرسول ﷺ مايطيب خاطرها ويذهب كمدها :

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المطعون شهيد، والغريق، وصاحب ذات الجنب، والمبطون وصاحب الحريق، والذي يموت تحت الهدم، والمرأة تموت بجمع» [4]

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح / سلسلة الصحيح / رقم ١٤٣ .

(٢) إلا تحلة القسم : إلا قدر ما يبر الله قسمه فيه ، وهو قوله عز وجل وإن منكم إلا واردها / مريم / ٧١ ، فإذا مر بها وجاوزها فقد أبر قسمه .

(٣) دعاميص – صغار أهلها في الجنة لا يفارقونها / ينظر شرح السنة / ٥ / ٤٥٢ .

(٤) يريد المرأة تموت وفي بطنها ولد . وقيل المرأة تموت ولم يمسسها رجل . والحديث صحيح بشواهده . أخرجه مالك وأحمد وأبو داوود وغيرهم / شرح السنة / ٥ / ٣٧١ .

وبعد أن تسمعه الصاحبة المؤمنة تنجلي سحابة التجهم التي كانت تظلها ، وتشعر بالرضى بالقدر يملأ قلبها .

وهكذا بالكلمة الطيبة الرقيقة ، بالطعام الذي تصنعه المسلمة لأختها المصابة ، بالمواساة وقضاء الوقت معها ...

تهون عليها وطأة المصيبة ولايثقل عليها العبء ولاتنوء بحمله ، وقد وجدت من تحمله معها وتشاركها المصاب .

* وفي تاريخ المرأة المسلمة صور رائدة تصلح نبراساً يحتذى في الصبر وحسن العزاء والمواساة . والدعوة إلى عدم الاستسلام للأحزان مهما جل الخطب وعز المصاب :

عندما توفي أبو سفيان دعت أم حبيبة رضي الله عنهما بطيب فيه صفرة كما ذكرت زينب بنت أبي سلمة قالت : دخلت علي أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها (أبوسفيان) فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة -خلوق أوغيره - فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غيرأني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « **لا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً** » (١)

وعلى الصبر وعدم الجزع تربت المسلمات :

- يقال : دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر فقالت لها : ياخنساء هذا نهى رسول الله عنه . فقالت : ماعلمت . ولكن هذا له قصة . زوجني أبي رجلاً مبذراً . فأذهب ماله . فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين فأعطاني شطراً خياراً . ثم فعل زوجي ذلك مرة أخرى . فقسم ماله شطرين فأعطاني خيرهما .

فقالت له امرأته : أما ترضى أن تعطيها حتى تعطيها الخيار فقال :

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطلاق .

والله لا أمنحها شرارهـا وهي التي أرمض عني عارها

ولو هلكت فرقت صدارها واتخذت من شعر صدارها[1]

وكان من حسن استجابة الخنساء ... رضي الله عنها. أنه عندما قتل أولادها الأربعة في القادسية ، صبرت واحتسبت وقالت قولتها الشهيرة : «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته »

* ومعاذة العدوية رضي الله عنها كانت من عابدات البصرة . قال زوجها صلة ابن أشيم وقد كان في مغزى له ومعه ابن له . قال : أي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك .

فحمل فقاتل حتى قتل .

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة فقالت : « مرحباً بكن إن كنتن جئتن لتهنئنني . وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن » [2]

إن لم نستطع صبرمعاذة الفريد ، هلا رضيت الواحدة بالقدر ولم تسخط ، آمنت ولم تأثم . فلم تتكلم بما يغضب الله ، بل قالت الكلمة المسنونة (إنا لله وإنا إليه راجعون) وإن دمعت عينها فهو من الرحمة التي وضعها الله في القلوب ، لا الجزع ولا الخور ولا الندب ولا النياحة .

أما ما نجده في بعض المجتمعات حين الوفاة :

أن الصديقة بقدر ماتكون مخلصة بقدر ماتكون مكروبة كامدة في ذلك اليوم . تتناوح بصيحات شيطانية ، يتصورونه مشاركة وجدانية من المرأة لصاحبتها .

تساعدها النسوة وهن يولولن ويلطمن وجوههن ، وقد ملأن الجو بعويلهن وتصويتهن ، وينحن ذاكرات فضل الميت ومساويء المصيبة .

وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال

(١) الإصابة / ٤ / ٢٨١ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ / ص ١٥ .

رسول الله ﷺ : «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»[1] والصديقة المسلمة لايجعلها الوجد تفقد صوابها حتى ترتكب الحرام في الندب أو النياحة .

فقد بكت حفصة على عمر رضي الله عنهما فقال : مهلاً يابنية ألم تعلمي أن رسول الله قال : «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»[2]

وعن أم سلمة قالت : لما مات أبو سلمة (رضي الله عنهما) قلت : غريب مات في أرض غريبة لأبكينه بكاء يتحدث عنه . فكنت قد تهيأت للبكاء عليه ، إذا أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني (تساعدني في البكاء) فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال : « **أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه مرتين ؟** »

فكففت عن البكاء فلم أبك [3]

هي العواطف الموجهة حسب توجيه الله ، لا العواطف الهوجاء التي قد تودي بصاحبتها .

على أنه يجب أن لا ينقلب العزاء إلى تفاخر في المظهر ، وطعام يقدم وأنوار تتلألأ ، وكراسي تصطف .. حتى أصبح في مظهره أشبه بالأفراح . وهذا مع مافيه من تكاليف غير شرعية ، فهو لايتلاءم مع الطبيعة البشرية . فالنفس السوية لاتحتمل فوق مصيبتها كل المظاهر السابقة والتي بدأت تسود وأصبحت عبئاً مادياً ثقيلاً .

٦- المشاركة في السراء والضراء:

- المساعدة عند الضائقة

قد يثقل إحدانا الهم ، وتهرب عنها معاني السرور . بل وأصبحت تعجز عن

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم - باب تحريم النياحة (ينظر شرح صحيح مسلم / ٦ / ٢٢٨ .

(٣) رواه مسلم : باب تحريم النياحة .

التكلف به ، فإذا بها بعد أن تفضي لصاحبتها عما بها من ضيق ، تغسل عنها مرارة الألم ، وتزيل مايجثم على قلبها من ضيق فتصبح ضاحكة بعد عبوس، مستبشرة بعد كدر .

تقدم لنفسها الخير فتعين أختها الفقيرة المهمومة وتقدم لها الصدقة : ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ [سبأ : ٣٩]

وقد تكون صاحبتها من الكرام المعوزين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعطيها أختها المسلمة بكرم نفس ، لاتذلها بالمن ، ولاتخدش حياءها بإظهار المساعدة . ولاتنتظر لنفسها محمدة . وإنما هو العون والمواساة وسد خلة أختها .

وإن كانت في ضائقة مالية واحتاجت إلى مساعدة أختها ، مدت لها يد العون ، أقرضتها ونفست عنها كربها، ومن ثم تنتظرها حتى توسر ولاتلح في طلب التسديد عملاً بقوله تعالى ﴿**وإن كان ذوعسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾ [البقرة :٢٨١].

وقد تتجاوز عنها عند الضرورة . وقد قيل : لايعد غنياً من لم يشارك في ماله غيره . ثم قد تفتح لها باب العمل الحلال مايصونها عن ذل السؤال ، وذلك بأن تشفع لها وتتوسط للحصول عليه ، فتساعدها بجاهها :

قال تعالى : ﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً**﴾ [النساء : ٨٥] هنيئاً لمن كان وجودها محضر خير وبركة لامحضر عبث ومشكلات ، وتحريش لفعل السيآت .

فلايضيق صدرك أختي المسلمة بكثرة التبعات ، أوزيادة الطلبات فإن قصدت لحاجة اعمليها بكل رحابة صدر، بلا تأفف ولاضجرفقد قال رسولنا محمد ﷺ :

« **إن لله تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ،ويقرها فيهم مابذلوها . فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم** »(١)

---

(١) رواه الطبراني – وهو حسن / ينظر صحيح الجامع الصغير /٣ / ٢ ٣ ٤ .

ولازالت للمرأة المسلمة بصفاتها الخيرة وطبيعتها الحانية مواقف مشكورة في أزمات المسلمين . فهي تخفف عن الأسر المصابة لغياب معيلها بالمساعدة المادية والمعنوية .

وتساهم بالتخفيف عن البلاد المنكوبة من بلاد المسلمين ، في تبرعات تعبر عن سخاء نفسها وصلابة عقيدتها . وقد يصل الأمر بالكثيرات إلى التبرع بالحلي التي يلبسنها ، يتطلعن إلى أن يتحلين في جنة الفردوس بأساور من ذهب ولؤلؤ .

فالصاحبة المسلمة تواسي أختها بنفسها ومالها ، بل قد تؤثرها على نفسها لتكون ممن مدحهم الله تعالى بقوله **﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾** [الحشر : ٩]

إنها لاتشعر بلذة العيش وغيرها في تعاسة . تضحي بمصلحتها لأجل غيرها . بعيداً عن الأنانية المقيتة .

فإذا أمتحنت صديقتها بالفقر ، وقل المال وقحط المنزل حتى من الزاد ، وخوى صندوق ملابسها إلا من القديم البالي . لاتدعها أختها المسلمة تطوي على الجوع وهي في شبع . وتعرى وهي كاسية ...

إن سعادتها في البذل والعطاء ، فتفتح يدها المعطاء ، وتحتسب الأجر من الله ، حتى إذا كشفت الغمة ، وأيسرت بعد إعسار بقيت الوشائج الحانية تعم المسلمين .

لكن هل من حق الصحبة وإيثار الصاحبة أن تتضرر المسلمات من أجلها في الحافلات العامة ؟! حيث يترك مكاناً خاصاً للصاحبة ، بينما المسلمة الضعيفة ، أوالتي تحمل صغيرها ، أوالمسنة التي لاتقوى على الزحام ، تكون واقفة ، فقد حجز المكان !

وكذا في المساجد ، قد تترك مكاناً لصاحبتها أوصاحباتها المتأخرات ... وقد يحول ذلك دون انتظام الصفوف في الصلاة .

- وإن زادت الخطوب والبلايا وضاقت عليها نفسها ، تذكرها صديقتها بحلاوة المناجاة ولذة التقرب إلى الله .

تبين لها أن النازلة قد تكون خير لها من المال الكثير، وقد يكون المرض خير من الصحة . فمرض تطامن فيه رأسها لله ، تدعوه خاشعة متضرعة ، تستغفر عن تقصيرها وتشكو عجزها وتسأل الله الفرج خير من صحة مع طغيان .

وأختها تذكرها بأن الخيرفيما يختاره الله لها :

فقد روى مسلم عن الرسول ﷺ قوله : « **عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** »[١]

فلا تسخط على القدر كمن تقول وقد انهارت نفسها : أما لهذا البلاء من نهاية ؟ هلا نظرت كم في الكون من المبتلين ؟ فلم لاتكون عدتها الصبر؟

هلا دمرت شيطانها وردت وساوسه واستعاذت بالله منه . هذا ولايصح أن تصبح مجالس النساء مجال شكوى وتذمر. شكوى من الزوج تارة ، وتذمر من المرض والفقر... الخ القاموس الذي يتضمن الكثير .... أين التجمل والصبر ؟! ثم إن هموم الحياة الحديثة كثيرة ومطالبها جمة ، فالأجدر بالصاحبة أن لاتنشر همومها وشكواها باستمرار أمام صاحباتها فذلك إذا تكرر منها يجعلها ثقيلة الظل، وقد لا تستمر معه الصحبة . فلا تكون الشكوى إلا عند الضرورة .[*] ولابد من حسن التحمل ، فإننا أمة مجاهدة عدتها الصبر . وأكثر مايدخل النار عدم التحمل ، وضيق الصدر وإنكار الجميل :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء** »، قالوا : ولم يارسول الله ؟ قال: «**بكفرهن**» ، قالوا : أيكفرن بالله ؟ قال : « **يكفرن العشير ويكفرن الإحسان** »[٢]

---

(١) صحيح الجامع الصغير / ٢ / ٧٣٥ .

(*) قديماً قال ابن المقفع يصف الصديق الذي نال إعجابه وذكر صفاته ومنها : كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى / الأدب الصغير والأدب الكبير / ١٣٤ / ٦٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح .

الله الله في الصاحبة الصالحة ، اذكريها وأنت ترفلين في النعم وهي منها محرومة . اذكريها والهم يسهدها وأنت تنعمين بالمسرات .

فالمشاركة الوجدانية تجبر خاطرها وتذهب عنها مرارة ماتقاسيه من ألم ، ولاتشعرها بخيبة الأمل . وفي سيرة سلفنا الصالح ، مشاركات لبعضهن حتى في أحلك الظروف :

في قصة الإفك : « لما اشتد الأمر على أم المؤمنين السيدة عائشة وهي في بيت أهلها تبكي ، استأذنت عليها امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معها » (١)

- هكذا وكما أن من أدب الصحبة أن لاتفرح المسلمة والناس كئيبة ، كذا لاتحزن إذا كانوا يبدون البشر والسرور . بل تشارك في الإنقباض والإنبساط، في حلو الحياة ومرها .

ومن مشاركة الصاحبة في مسراتها :

التبشير بالخير والتهنئة به :

إذ تسر المسلمة عند مناسبات فرح صديقتها ، فتسارع إلى بشارتها وتهنئتها وإدخال السرور على قلبها وذلك بالمشاركة الوجدانية الحانية : « ففي قصة كعب بن مالك وفي استباق صاحب الفرس ، والراقي على سلع ليبشركعباً ، دليل على حرص القوم على الخير . واستباقهم إليه ، وتنافسهم في مسرة بعضهم بعضاً .

يقول كعب : بينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى ، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل بأعلى صوته « ياكعب بن مالك أبشر» . فخررت ساجداً .

فعرفت أن قد جاء الفرج من الله وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين

---

(١) ينظر البخاري / كتاب الشهادات / الحديث ٢٦٦١ / وكذا الإصابة / ٤ /

صلى الفجر . فذهب الناس يبشروننا . وركض إلي رجل فارساً . وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على ذروة الجبل . وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه . والله لاأملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما .

فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة يقولون: ليهنئك توبة الله عليك »[1]

وإن كانت الصاحبة مريضة ومنَّ الله عليها بالصحة بعد السقم ، وبالقوة بعد الضعف ، تستحب التهنئة لها بالعافية ، والمسنون في ذلك قول : «ليهنئك الطهور» لوروده عن بعض السلف .

بل روي حديثاً « صح جسمك » كما أخرجه الحاكم عن خوات بن جبير قال : «صح جسمك ياخوات ، فِ الله بما وعدته »[2]

وإذاسألت صاحبتها عن عروس لإبنها أولأخيها أوقريبها ... تدلها فتساعد في تحصين الشباب والشابات الصالحات . وتتوخى في ذلك ذات الدين والرجل الكفء المناسب لها .

فإن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، كانت قد خطبت الرسول ﷺ على عائشة وسودة بنت زمعة . وقالت خولة للرسول ﷺ : أفلا أخطب عليك ؟ قال : « بلى فإنكن معشر النساء أرفق بذلك » . وعن عائشة قالت : لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم : أي رسول الله ألا تزوج ؟ قال : « من » ؟ قالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً ، قال : « فمن البكر؟ » قالت : بنت أحب الناس إليك (عائشة بنت أبي بكر) قال : « ومن الثيب؟ » . قالت : (سودة بنت زمعة) . آمنت بك واتبعتك . قال : « فاذهبي فاذكريهما » .

---

(١) زاد المعاد / ج ٣ / ص ١٢ .

(٢) الإفادة لما جاء في المرض والعيادة / ٧٩ ، فِ : أوف.

فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان فقالت : ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة !

قالت : وماذاك . قالت : أرسلني رسول الله ، أخطب عليه عائشة ، قالت : وددت انتظري أبابكر .....[1]

وفي عرس فاطمة الزهراء رضي الله عنها رأى الرسول ﷺ سواداً من وراء الستر فقال : « **من هذا ؟** » قالت : أسماء . قال : « **أسماء بنت عميس ؟** » قالت : نعم يارسول الله . قال : «**جئت كرامة لرسول الله ؟**» قالت : نعم . إن الفتاة ليلة يبنى بها لابد لها من امرأة تكون قريباً منها إن عرضت لها حاجة أفضت ذلك إليها » أخرجه الطبراني[2]

الهدية بلا تكلف:

ومن المشاركات الطيبة ، أن تصل صاحبتها بالهدية المناسبة . فذلك من وسائل دوام المحبة ، وتمتين العلاقة . فتهدي المسلمة صاحبتها ولو الورد أوالريحان . وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : «**من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة**»

ودعا النساء إلى المواصلة بالهدية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« **يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرس شاة** » [3]

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :« لقد كان يأتي علينا الشهر مانوقد فيه ناراً . وماهو إلا الماء والتمر . غير أن جزى الله نساء من الأنصار

(١) الإصابة : ٤ / ٩ ٤ ٣ وكذا حياة الصحابة ٢ / ٣ ٦٥٢ - ٦٥٦ .

(٢) حياة الصحابة / ٢ / ٦٦٧ .

(٣) متفق عليه / صحيح الجامع الصغير / ٢ / ١٣٢٢ .

خيراً، كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن » [1]

ومن صفات الهدية المناسبة :

أن لاتكون غالية الثمن ، فهي هدية رمزية تعبر عن المحبة والوداد .

والتكلف يذهب المودة أويقللها ، وقد يكون حاجزاً يحول دون استمرار الصداقة. وإن كثر التكلف اشتغل الناس بالمكافأة على الهدايا ، وضيعت الأوقات ، وأنفق المال على أمر قد يكثر فيه العتاب ، وعدم الرضى وذلك كله يذهب الحكمة من مشروعية الهدية .

- ومن صفات الهدية المناسبة أن تكون فيها فائدة للمهدى إليها . فلاتهدى الكتب للمرأة الأمية ، قد تهدى لها الأشرطة المناسبة لتسمعها .

ولاتهدى العطور للعجوز ، أوحتى للشابة التي يخشى عليها استعمال الطيب لخارج البيت .

وهل تجد إحدانا الجرأة أن تسأل أختها عن نوع الهدية المناسبة وهل وصلت المباسطة إلى ذلك ؟

هلا سألنا العروس عما يناسبها ؟ أوأن تعطيها الخيار بين أنواع تختار أحدها!

وبعد :

لاتجرح مشاعرها فترد الهدية . بل تقبلها وتكافئها إن شاءت .

أخرج أبونعيم في الحلية عن عائشة قالت : دخلت علي إمرأة مسكينة ، ومعها شيء تهديه إلي فكرهت أن أقبله رحمة لها .

فقال لي نبي الله : « **فهلاقبلتيه وكافأتيها ؟ فأرى أنك حقرتيها . فتواضعي ياعائشة . فإن الله يحب المتواضعين ويبغض المستكبرين** » [2]

ولاتعود في الهبة : فقد نفر الرسول ﷺ من ذلك بقوله : « **مثل الذي يعود في**

---

(١) متفق عليه / شرح السنة / ١٤ / ٢٧٣ .

(٢) حياة الصحابة / ٢ / ٢٥٧ .

هبته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله »[1] وفي هذا زجر بليغ عن الرجوع في الهبة .

الغنـــاء للعروس :

الغناء للعروس وكذا في العيد : عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ :

« **ياعائشة ماكان معكم من لهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو** » رواه البخاري.

وكان ﷺ يكره نكاح السر حتى يضرب بدف ويقال :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم[2]

إن المرأة بعد المرح والترفيه تصبح أكثر نشاطاً ، وذلك أدعى لتمارس واجباتها بنفس منشرحة . ويكون مردود عملها أفضل ، سواء في واجباتها الأسرية أو الاجتماعية .

إنه الاعتدال ، فليست الحياة جد كلها ، وكذلك ليس انتهاب المسرات غايتها ، فهي عن عائشة قالت : دخل علي أبوبكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار (تلعبان بدف) تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث قالت : وليستا بمغنيتين . فقال : أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ . وذلك في يوم عيد .

فقال رسول الله ﷺ :« **ياأبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا** » رواه مسلم .

قال القاضي : كان غناؤهما بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة . وهذا لايهيج الجواري على شر ، ولاإنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه ، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد . ولهذا قالت : وليستا بمغنيتين : أي ليستا ممايتغنى بعادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش

---

(١) البخاري ومسلم والترمذي / ينظر الترغيب والترهيب ١ / ٣٨٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد / ٦ / ١٨٧ .

والتشبيب بأهل الجمال ، ومايحرك النفوس ويبعث الهوى والغزل ، كما قيل الغنا فيه الزنا .

وليست أيضاً ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذي فيه تمطيط وتكسير وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن . ولاممن اتخذ ذلك صنعة وكسباً . والعرب تسمي الإنشاد غناء .

وليس هو من الغناء المختلف فيه بل هو مباح .

وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذي هو مجرد الإنشاد والترنم . وأجازوا الحداء وفعلوه بحضرة النبي ﷺ وفي هذاكله إباحة مثل هذا ومافي معناه »[1]

٧- إشاعة الانس بالنكتة الطريفة والمزاح الوقور:

لابد من التلطف بالنفس ، وعدم تحميلها مالاطاقة لها به ، لابد من الراحة بعد التعب والاكان الإعياء . ولابد من الإستجمام بعد الجد والاكان الملل . ولابأس بالحكاية النادرة ، والطرفة الممتعة ، والفكاهة النظيفة .

فالبسط والمداعبة ممايفرح النفس ، ويجلي الهم . ولاننسى أن الابتسامة طريق ميسر للدخول إلى القلوب والإحتفاظ بالمودة ، فلا نهملها عند اللقاء ، وعند السلام، وعند الشكر على المعروف ، وعند الاستئذان وغير ذلك لحديث الرسول ﷺ : «**لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» رواه مسلم .

فالمسلمة فيها اللطف وفيها البشاشة . ابتسامتها المشرقة تزين وجهها ، وتطوي هموم صاحبتها وتشيع التفاؤل في نفسها .

لكنه المرح المهيب . وإن كان منها المزاح فهو للتسلية لاعلى سبيل المواظبة، فكثرة المزاح تذهب الهيبة وتجريء الغير .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي / ج ٥ / ١٨٣ .

قال عمر رضي الله عنه : (أتدرون لما سمي المزاح مزاحاً ؟ قالوا :لا . قال : لأنه أزاح صاحبه عن الحق . وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح)[1] فلا يستحب الإكثار منه والمواظبة عليه والمسلمة التقية لن تقدم على تسلية غيرها وتفريحها الآني، بأن تحمل هي أوزار ذلك الكلام . فهي صادقة أبداً حتى في مزاحها .

ولها خير أسوة بالرسول ﷺ فقد كان يمزح لكنه لايقول إلا حقاً . عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال : « **إني حاملك على ولد ناقة!** » فقال : يارسول الله ماأصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **وهل تلد الإبل إلا النوق** »[2]

ورأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمراً وإحدى عينيه رمداء فقال : « **أتأكل التمر وأنت رمد ؟** » فقال : يارسول الله إنما آكل بالشق الآخر ! فتبسم الرسول ﷺ [3]

إنه المزاح المهذب بالحدود المشروعة فلا تعبث المسلمة بمودة صاحباتها، ولاتجعل لهن ألقاباً سواء كانت مازحة ضاحكة أوناقدة جادة .

فتمسك لسانها ، ولاتدع أختها كسيرة الخاطر من غوائله .

* وقد كانت لأمهات المؤمنين مواقف طريفة فيها خفة الظل ، وفيها الظرف والأنس . وفيها الدعابة والمرح .

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

أتيت النبي ﷺ بحريرة قد طبختها له فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها كلي. فأبت . فقلت : لتأكلين أولأ لطخن وجهك ! فأبت .

---

(١) إحياء علوم الدين / ٣ / ٢٠٣ .

(٢) حديث صحيح غريب أخرجه الترمذي وأبو داوود / ينظر شرح السنة / ١٣ / ١٨٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد / حاشية الواقي على الإحياء / ٣ / ٢٠٥ .

فوضعت يدي في الحريرة فطليت وجهها فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي ﷺ (١)

إنها مباسطة أسرية ، ومزاح لطيف غير مزعج ، وليس فيه ترويع أوأذى، وإلا أصبح المزاح منهياً عنه : قال عليه الصلاة والسلام :

« **لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ، وإن أخذ عصا صاحبه فليردها عليه** » وقال محذراً من ترويع الأخ المسلم :

« **من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » رواه مسلم . وهكذا فإن المزاح قد أبيح لتسري المسلمة عن نفسها وعمن يخالطها . أبيح بكل طريف مهذب ، بعيداً عن المجون ، بعيداً عن الكذب ، بعيداً عن الترويع والأذى أياً كان نوعه .

---

(١) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمر بن علقمه وحديثه حسن / حياة الصحابة / ٢ / ٦٧٨ .

(٢) رواه أحمد وأبوداوود والترمذي وهو حسن / صحيح الجامع الصغير / ٢ / ١٢٥٧ .

المبحث الرابع

التعاون على البر والتقوى

للتعاون على الخير أوجه كثيرة من أبرزها :

١- التناصح في تربية الأولاد.

٢- المساعدة في قضاء الحوائج بالمال والجاه.

٣- التعليم.

٤- إنكار المنكر مع مراعاة آداب الإنكار.

٥- المشاركة في تضميد الجرحى ، والتبرع لصالح الجهاد في سبيل الله .

٦- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

«المبحث الرابع»

التعاون على البر والتقوى:

المعاونة على الخير لها أوجه كثيرة، فالمعروف ليس بالمال وحده ، قد يكون بالرأي الصائب ، وبالكلمة الطيبة ، وقد يكون بالذب عن الصاحبة ونصرتها ، وبقضاء حوائجها بأي من ألوان التكافل والتآزر .

فإن أكرمك الله وميزك بالعلم أو الصحة أوالمكانة .... فابذلي مافي وسعك لأداء حق الله فيها ، وذلك بالإحسان إلى صاحبتك ومن تعاشرين :

عن أبي موسى رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **على كل مسلم صدقة** » . قيل : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « **يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** ». قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « **يعين ذا الحاجة الملهوف** ». قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « **يأمر بالمعروف والخير** ». قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال :« **يمسك عن الشر فإنها صدقة** »(١)

فالمسلم (أوالمسلمة) في كل أمره خير ، ولوأمسك عن الشر فإن في ذلك صدقة.

١- التناصح في تربية الأولاد:

قد لايكفي المرأة أن تفكر لوحدها ، فتستعين بأخواتها المؤمنات ، تستنير بآرائهن ، تتناصح معهن لتربية الأولاد ، وأحسن الطرق لتوجيههم والعناية بصحتهم . وكم من أم صغيرة ، كانت جاهلة في تربية الأطفال ، استفادت من خبرة صاحباتها ، وتعلمت منهن مافيه الخير من عدم تدليل الأولاد ، وعدم القسوة، وعدم التفرقة .... وغير ذلك ممايفيدها ويفيد أسرتها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم (الترغيب والترهيب ١ / ٣٩٢ .

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – الآراء في أفضل العبادات ، وتعرض لفئة رأت أن أفضل العبادات وأنفعها ماكان فيه نفع متعد، وهوأفضل من ذي النفع القاصر .

ورأوا أن خدمة الفقراء ، والاشتغال بمصالح الناس ، وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم بالمال والجاه والنصح ، أفضل فتصدوا له وعملوا عليه ، واحتجوا بقول النبي ﷺ : « **الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله** » رواه أبويعلى .

– احتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه ، وعمل النفاع متعد إلى الغير . وأين أحدهما من الآخر؟!

قالوا : ولهذا كان فضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب .

– واحتجوا أن صاحب العبادة إذامات انقطع عمله . وصاحب النفع لاينقطع عمله مادام نفعه الذي سعى إليه).[1]

٢ـ المساعدة في قضاء الحوائج بالمال والجاه:

ومن أوجه التعاون ماكان في سفر أونزهة، فإن كانت الصاحبات في سفر أونزهة ، لايترك كل العبء على واحدة تنظم أمر الرحلة ومايلزمها ... بل يحسن أن تتشارك الجميع حتى في الطعام .

ولنا القدوة في الأشعريين ، مدحهم الرسول ﷺ أنهم كانوا إذاكانوا في سفر تناهدوا »[2]

وبهذا يهون الأمر في الفسح والرحلات ، وتحلو الصحبة وتتوزع التبعات .

– وقد تترافق الصاحبات في السفر ، فلتحمل كل واحدة متاعها ، أما إذا كانت ضعيفة من مرض أوحمل فتحسن مساعدتها ، استجابة لتوجيه الرسول ﷺ

---

(١) مدارج السالكين / ١ / ١٠٠ .

(٢) تناهدوا : وضعوا أزوادهم معاً – شرح السنة / ١٤ / ١٤٨ .

«صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله ، إلا أن يكون ضعيفاً فيعجز عنه فيعينه أخوه المسلم »[1]

* وتسعى في حاجة صاحبتها :

ففي قصة المرأة المخزومية التي سرقت وقطعت يدها ، ثم حسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت : قالت عائشة : « كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ »[2]

وهكذا فهي تسدي العون للمسلمة - لها الظاهر - والله وحده عالم السرائر ويحاسب عليها . وعلى هذا الهدي الكريم كانت الصحابيات رضوان الله عليهن :

تسعى المرأة في حاجة أختها :

قالت أم المنذر[3] رضي الله عنها : بايعت رسول الله ﷺ فيمن بايعه من النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً (الحديث) وفيه : ولانغش أزواجنا .

فبايعناه ، فلما انصرفنا ، قلت لامرأة ممن معي : ارجعي فأسأليه ماغش أزواجنا ؟ فسألته فقال : تأخذ ماله فتحابي غيره) .

٣ـ التعليم:

وتعلم الجاهلة؛ فعندما سألت خطيبة النساء (أسماء بنت يزيد) سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال : « **تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها** » .

قالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟! فقال : « سبحان الله ، تطهرين بها » . فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك ، تتبعين أثر الدم »[4]

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) من بني النجار ، وقد صلت مع الرسول ث القبلتين / ينظر الإصابة / ٤ / ٥ ٢ ٣ وحياة الصحابة ١ / ٢ ٥ ٢ .

(٤) متفق علي صحته - ينظر شرح السنة / ٢ / ١ ٩ .

فالنساء أقدر علي تعليم أمور الحيض ، وماشاكلها من خصوصيات المرأة لصاحباتهن.

وقد دعا الله تعالى أمهات المؤمنين إلى التعليم والدعوة إلى الله بقوله :

« **واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً**» [الأحزاب : ٣٤] وقال جل شأنه :« **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**» [فصلت : ٣٣]

ولنا في أم المؤمنين السيدة عائشة خير قدوة ، في تعليمها للنساء وحفظها لسنة النبي ﷺ وقد قال عليه الصلاة والسلام للشفاء - وهي من المهاجرات الأول وعقلاء النساء وفضلائهن - قال لها :

« **علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة** » (١)

فبالتعليم تساهم المرأة في بناء النفوس المؤمنة . وتشيع الخير في أوساط النساء . وتحارب الأمية بشتى صورها ، سواء كانت أمية القراءة والكتابة ، أوالفكر المنحل ، فتنقيه من العبث وتصونه من الإنحراف .

تتعلم وتعلم مايفيد من ألوان الثقافة المختلفة ، فتنير بعلمها القلوب ، ويعبد الله على بصيرة . وبذلك تكون المرأة عوناً فعالاً لتهب الأمة من رقادها . وتتم صحوتها المباركة على الوجه المرضي لله عز وجل ، وتستحق بجدارة دعاء الرسول ﷺ :

« **نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** » (٢)

هي الصاحبة لاتشقى جليستها ، صحبتها مغنم، فقد جاء في حديث الرسول ﷺ : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن**

---

(١) الإصابة ٤ / ٣٢٣ .

(٢) اسناده صحيح - شرح السنة / ١ / ٢٣٦ / والمقصود بالنضارة : حسن الجاه والقدر في الخلق .

عنده» [1] ولو كانت السكينة تنزل على قوم لسارعوا لتنفيذ الأمر ولنفضوا عنهم الكسل ! ولووعدوا بالرحمة تغشاهم لتسابقوا إلى ذلك ولتركوا الخمول والدعة ! ولو أملوا بأن تحفهم الملائكة لاستبشروا وعملوا بلاتوانٍ .

ولوتطلعوا إلى ذكر الله لهم في جمع الملائكة الأبرار، لأقبلوا على العلم إقبال الملهوف ، ولعبّوا منه ونهلوا من ينبوعه العذب الزلال .

إنها مجالس بها ترق القلوب ، وتخشع الجوارح ، وتطمئن النفوس ، وتبعد عن الغفلة . بها يتجدد الإيمان ، ويخلص لله ، وتترك الدنيا وزينتها .

ولولا المدارسة والعلم لاندثرت السنن . وحسن الفهم يجعل المرأة لاتتساهل في الموبقات ، ولاتضعف أمام التيارات الفكرية فتنجرف معها .

علينا ألانجعل أعداءنا أكثر حرصاً على مبادئهم منا ، ولانجعل لهم قصب السبق في القول والعمل .

فلنتدارس شبهات الأعداء ، ونشمر للرد عليها ، والذب عن حياض هذا الدين . وماخابت من توجهت إلى الله بالدعاء :

« اللهم إنا نعوذ بك من علم لاينفع ، وقلب لايخشع » .

٤- إنكار المنكر مع مراعاة آداب الإنكار:

إننا إذ نطلب صديقة ودودة ، لانريدها مداهنة تخفي العيوب عن صاحبتها . كما لانريدها ناشرة للسر ذائعة له .

نريدها صديقة صدوقة ، ناصحة شفوقة ، تعين على الخير ، وتنبه إلى الخطأ لاتهلكها المجاملات الفارغة ، ولايثنيها لين الخطاب عن قول الحق .

إن علمها بالخطأ يجعلها تدرك أن الفرصة قد واتتها كي تؤدي واجب الصحبة . في تعليم صاحبتها ، وإنكارذلك المنكر ودلها على الخير .

---

(٣) رواه مسلم في باب الذكر .

فالعقيدة ليست ملكاً لأحد حتى يجامل فيها ، فلاتجاملها بما لايسوغ شرعاً . إنها لاتفتأ تحاول بكل لباقة حتى تقنع صاحبتها: بالحكاية المفيدة ، والطرفة النافعة ، والاستدلال بسير السلف الصالح ، والأدلة الشرعية من الآيات والأحاديث ...

فإذا قولها للفائدة ، لالتطييب الخواطر ... وإذا أوقاتها معمورة ، لالتزجية الفراغ ... وإذا بصاحبتها تسعد برفقتها في الدنيا والآخرة ... إن يقينها أنها ذات رسالة حية . يجعلها تقتبس دائماً من هدي الرسول ﷺ القائل : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** ».[(١)]

– قد يضمها مجلس تجد فيه الغناء المحرم ، أو الأفكار المنحرفة ، فلايهنأ لها بال إلا وهي تجد أختها في المرح المباح . ولاترضى أن تراها تقبل على السراب الخادع فتسعى لتنتشلها لتقف ثابتة على أرض صلبة ، بدل أن تتقاذفها الأهواء المضطربة كريشة في مهب الريح .

– قد تجد من صاحبتها التساهل في قضاء ماتفطره من شهر رمضان . فلاتتوانى عن موعظتها . تخوفها من الله ولاتقصد إلاوجهه تعالى ، وبالرفق وحسن القصد لاسيما إن كانت المخالفة عن جهالة تبعد صاحبتها عن مزالق الهوى .

– من رأت صاحبتها تلقي بالقمامة من نافذة المنزل ، أوالسيارة ، فتنكر المنكر على قدر طاقتها ، تذكرها بواجبها كمسلمة في عدم إيذاء المسلمين . وأن إماطة الأذى عن الطريق صدقة .

– إذا كانت زميلتها في العمل (مدرسة ، ممرضة ...) لاتنصح في عملها ، ولاتخلص فيه تتلهى عن القيام بالواجب ...

فإنها تترفق في إنكار المنكر ودون أن يؤدي بها الإنكار إلى الوقوع في منكر

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي / الترغيب والترهيب ١ / ٢٢٣ .

أشد . هاهي أختنا وقد رأت صاحبتها المخلصة الشفوقة ، تتلهف لتراها في أكمل الحالات الممكنة ... وقد أدت واجبها ، وسكبت من رحيق قولها في سمعها ، وذكرتها مابه تعلو درجتها ... فلن تخيب ظنها .

– وفي مجالس النساء ، يجب ألاتسمح المسلمة بإهانة صاحبتها في حجابها أو في التزامها بآداب الإسلام :

من قرارها في البيت – من عدم خروجها منه إلابإذن الزوج ... إلى غير ذلك مما تكثر الأحاديث فيه . والواجب أن تبرز الصورة السليمة الصحيحة لتعاليم الدين . ولايكون موقفها موقف المتفرج الذي لايهمه إلا أن يرى النتيجة ومكامن الإثارة ، كشأن الكثيرات !

بل ترفع الغبن ، توضح مافي هذا الدين من مزايا وفضائل خفيت على الكثيرات. تذود عن حياض الدين إلى أن تكبت الخصوم . وماأكثرهم ، وفي كل يوم يأتوننا بجديد . وآخر تقليعة لهم : الأحباش وهم جماعة تأسست في دمشق ثم بيروت . ولها انحرفات في العقيدة والسلوك وتلاعب بكتاب الله وسنة رسوله اتباعاً للأهواء . وهم يعدون العدة لنشر مذهبهم (نسأل الله أن يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته).

ومن ضلالات هذه الفرقة : دعوتهم إلى الفساد ولهم في ذلك فقه عجيب يدعو إلى التبرج والفجور والمجون وهم يدّعون الإسلام .

فهم يقللون من شأن المعاصي مثل لمس المرأة الأجنبية ، بل ومفاخذتها ، ويجيزونه بحجة أن ذلك من الصغائر(١) وذلك لترويج مذهبهم بين الشباب المنحل وأصحاب النفوس المريضة . ويفتي الأحباش بجواز الاختلاط بين النساء والرجال . ويجيزون للمرأة أن تخرج من بيتها متعطرة متزينة (٢) – رغم النصوص التي ترهب

عن مجلة البيان العدد / ١١١ / ص ٩٠ بقلم عبد الرحمن بن عبد الله الحجاج .

(١) عبد الله الهرري الحبشي – صريح البيان – ص ٢٦٩ – ٢٧٢ .

(٢) عبد الله الهرري الحبشي – بغية الطالب / ٤٤٧ .

من خروج المرأة على تلك الحال . ونساء الأحباش في ظل هذا الفقه الأعوج ، يلبسن الملابس الشفافة الضيقة التي يرى باطن الجسم من ظاهرها . برغم أن الواجب ستر البشرة ، كما أفتى لهم مشايخهم . وعندما سئل أحد شيوخهم : أن نساء الأحباش يمشين بين الرجال الأجانب بالبنطلون الضيق جداً (الجينز) قال : إنا نجمع بين الموضة والسترة)[1]

إنه لايكفي المسلمة أن تتمسك بحجابها ، بل تدعو غيرها وتدافع عنه .

إنها لاتتساهل في أمر اللباس حتى أمام صاحباتها . تبعد عن كل مايفسد العفه ويسبب الفتنة والإبتذال .

فتتمسك بالزي الإسلامي تتزين به ، ويجللها الحياء ، فتصون سمعتها وسمعة من تخالطها .

هذا وإن الصاحبة التقية ، تدور مع الحق حيث دار .

إنها وإن أخذت من كل علم بطرف ، فهي لايبهرها الزيف الثقافي ، ولا تنتقل في فجاج الأفكار والآراء كما تشاء وتهوى . ولاتتشرف بالتقليد كشأن الببغاوات .

بل تعيش بالأخلاق التي تدعو لها . فهي مسلمة لها كيانها المحترم . وهي رأس تقود لكل خير ، لاتابع ذليل كمن أذلهن التقليد السمج وأذهب كيانهن التبعية السقيمة .

نجدهن في كل مناسبة – في الأفراح أو في الأتراح – يحكمن الأعراف السائدة أوالمستوردة ، ولو خالفت العقل السليم والدين القويم ! وفي لباسهن يخلعن عنهن عقولهن ، ويرتدين عقول (هوليوود) فيلبسن ماتفصله لهن وتختار ، كدمية اللعب التي يلهو بها الأطفال ، ويلبسونها كما يحلو لهم !

الصاحبة التقية ، لاترضى لنفسها أن تكون نسخة مماثلة للأجنبيات ، إنها تعمل بالإسلام وللإسلام ، فهي دائماً في منجاة من كل منزلق يودي بسمعتها .

---

(١) لقاء مع نزار الحلبي : جريدة المسلمون / العدد / ٧ ٠ ٤ .

وإن اهتمت بلبسها وزينتها فأمام زوجها والنساء المسلمات ، فهي المرأة الأنيقة النظيفة حسنة المظهر ، زكية الرائحة ، يعصمها دينها من الزلل.[1]

وأخيراً :

إشراقة أمل تطالعنا عندما نرى المسلمات اليوم ، في شتى بقاع الأرض ، وقد عادت الكثيرات منهن إلى دينهن ، وتمسكن بحجابهن ، واعتصمن بهدي نبي الهدى محمد ﷺ وبحثن عن الأفضل والأكمل لهن في الدنيا والآخرة رغم كل تعنت من خصوم هذا الدين .

لقد صُنَّ جمالهن عن أن تشوهه النار ، ولم يرضين بالدنية في دينهن . وعملن الخير ، عسى أن ترتع قدودهن المياسة في رياض الجنة .... و« **من سن في الإسلام سنة حسنة يعمل بها من بعده كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة يعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً** »[2]

لقد حملت المرأة المسلمة – منذ بدء الإسلام – عبء دعوة غيرها بكل ثبات ويقين: « وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة . وهي إحدى نساء قريش فأسلمت ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة . فأخذوها وقالوا لها : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ، ولكنا سنردك إليهم)[3]

وفي زحمة الحياة الدنيا وأعمالها ومتطلباتها ، تتناصح الصديقات داعيات للخير ، يذكرن بعضهن بالصدقة والعمل الصالح قال تعالى : « **لاخير في كثير من نجواهم إلامن أمر بصدقة أومعروف أوإصلاح بين الناس** »[النساء : ١١٤] تقول المسلمة

---

(١) ينظر في كتاب / الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة / فصل زينة المرأة المسلمة) .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة .

(٣) الإصابة – ٤ – ٤٤٦ .

لصديقتها الخيرة : هلمي نتصدق على فلانة فقد علمت حاجتها ـ في خفية عن الأعين ـ أوهلمي إلى معروف نفعله أونحض عليه ، أونصلح بين فلانة وفلانة فقد علمت أن بينهما نزاعاً .... ولايكون ذلك لهوى في الصدقة على فلانة ... ولالتشتهر بين الناس أنها والله امرأة طيبة .[1]

وكانت الصحابيات – رضوان الله عليهن – يتسابقن إلي الصدقة ويتبارين في الإنفاق في سبيل الله . ففي غزوة العسرة (تبوك) كما ذكرت أم سنان قالت : «لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فيه مسك ومعاضد وخلاخيل وأقرطة وخواتيم ، وقد مليء مما بعث من النساء يُعِنَّ به المسلمين في جهازهم »[2]

فما قيمة الملابس والزينة إذا كانت العقيدة في خطر ؟!

– هلا اعتبرت بذلك من جعلت أحاديثها حول التفاخر بالأزياء ، والتفنن في ألوان الطعام والشراب !

إن للمسلمة اهتمامات راقية تميزها عن غيرها . فإذا ادلهم الخطب ، ودارت المعركة دورتها ، كانت المرأة المسلمة تؤدي دوراً بناءً ولاترضى لنفسها أن تكون على هامش الحياة ..

لم يكن دورها تربية الأبناء وإعداد الجند المدافعين ، ولافي تخليف الغزاة في أهلهم وأبنائهم ونيل أجرذلك فحسب (على عظمة ذلك الأجر) لقد كان إلى جانب هذا وذاك أن تقوم كل واحدة بما تقدر عليه . ويتعاون جميعاً لمساعدة جند المسلمين . وقد يقاتلن أعداء الله إن لزم الأمر .

إن اجتماعهن اجتماع مبارك . لايقتلن فيه الوقت ، ولايذهبن به العمر.

– هلااعتبرت بذلك من تذهب جل وقتها في الحديث عن الفنانين والأفلام القذرة

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف يسير / م ٢ / ٨ ٥ ٧ .

(٢) حياة الصحابة / ١ – ١ ٢ ٤ – خلاخل : حلية تلبس في الرجل كالسوار لليد – الأقرطة : ما تعلق في شحمة الأذن – المعاضد : جمع معضد وهو الدملج .

والمسلسلات الخليعة !

٥ـ المشاركة في تضميد الجرحى، والتبرع لصالح الجهاد في سبيل الله:

كانت الصحبة الطيبة يتعاون في تضميد الجرحى:

عن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم رضي الله عنها ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى) رواه مسلم

وفي البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .

وفي أحد كانت عائشة وأم سليم تنقلان القرب على متونهما (رواه البخاري ومسلم) وكانت أم سليط تخيط القرب لهم . بل وساهمت أم عمارة نسيبة بنت كعب في القتال تذب عن رسول الله ﷺ بالسيف . وفي خيبر خرجت النساء يغزلن الشعر ويداوين الجرحى ويناولن السهام ويسقين المقاتلة (١)

وفي اليرموك كانت المسلمات يساعدن على الصمود في ساحة الوغى وتثبيت المجاهدين للقتال . وقد قاتل نساء المسلمين في ذلك اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن :

« أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال »(٢) هؤلاء سلفنا الصالحات ، وهن قدوتنا ، نساء إيجابيات عاملات، بعيدات عن السلبية والتواكل . بعيدات عن العجز والكسل .

فالبدار البدار ، أنادي بذلك كل من دعتها نفسها إلى الخلود إلى الراحة والخمول . أوالتسويف والتأجيل . أقول لها : لاتطفئي نوراً أضاءته أسلافنا . وتابعي المسيرة . فإلى الجد والإجتهاد ، وإلى العمل لنصرة دين الله .

---

(١) حياة الصحابة ١ / ٥٩٢ - ٥٩٨ .

(٢) البداية والنهاية / ج ٧ / ١٣ .

على أن مشاركة المرأة المسلمة لاتكون إلا في حدود الشرع بعيداً عن الإختلاط بالرجال ودواعي الفتنة [1]

أما إن إحدانا لوسألت نفسها ، أوسألت صديقتها : مارأيك باجتماع الأعداء واتحادهم لحربنا؟ لكان جوابها : إما اللامبالاة ، أوكلمة لاقدر الله !

أين العمل الجاد ؟ هلا أقبلنا على علم به تزكو النفوس ويصلح العمل وتنشرح الصدور !

إننا إن لم نكن على مستوى المسؤولية ندمنا ، ولات ساعة مندم .

فلنتذكر جميعاً أننا أمة مستهدفة يتربص بها العدو ، ولن يقوى إلاعلى مجابهة أمة أمهاتها وأخواتها غارقات في ظلمات الجهل ، يحكمها ضيق الأفق وضحالة المعرفة .

فماذا أعددنا لمجابهته ؟

إن دواليب الملابس ، وثلاجات الأطعمة لن تغني عنا شيئاً .

ومما يثلج الصدر رؤية نخبة مؤمنة داعية إلى الله تقدم كل واحدة لأمتها ماتقدرعليه: فتلك مؤمنة كثيرة الإطلاع تحرص على جمع أخبار العالم الإسلامي فتنبيء بها صاحباتها. وأخرى تذكر موجزاً عن شريط سمعته أوكتاب قرأته ، أوحتى غرائب ماسمعت وآخرماوصلت إليه العلوم والإكتشافات. وماذاك إلاللإستفادة من عمرنا المحدود وعدم إضاعة الأوقات .

٦- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة :

أختي المسلمة :

رب كلمة طيبة تكون سبباً في إنقاذ أخت لك من النار . فلاتتواني في ذلك . فالمحبة لأختها تلك التي تسعى لإنقاذها من النار . لا التي تربت على أخطائها ،

---

(١) المرأة بين الجاهلية والإسلام ودورها في السياسة والحرب / ص ٢٤٦ - ٢٥٢ .

وتزينها لها ، وترضي عواطفها تحت ستار : أن لاتجرح مشاعرها . وصدق الشاعر :

ليس الصديق الذي يلقاك مبتسماً ولا الذي بالتهاني بالسرور يرى
إن الصديق الذي يولي نصيحته وإن عرت شِدَّة أغنى بما قدرا

فالمسلمة تدعو بلا ملل أوفتور ، تعلم الجاهلة ، وتوجه المخطئة ، وتغير المنكر على قدر استطاعتها ، تحسن عرض الموعظة وتحبيب الطاعة برفق ولباقة وبوضوح وبلاغة . تحسن الدخول إلى قلب أختها لاتبتغي بذلك غير وجه الله .

تعين صاحبتها ولاتجير عليها ، تتلطف بها ولاتقسو عليها . تنتشلها إلى درب الفضيلة ولاتنفرها . تذكرها بما ستقدمه لغد ، علها تعيد النظر في تصرفاتها . وتلون في أسلوب نصحها بالقصة تارة ، وببيت من الشعر أخرى إضافة إلى آي الذكر الحكيم والحديث الشريف ، تدعو كما يريد الله تعالى :« **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » [النحل : ١٢٥]

[والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي تبينه لهم في كل مرة حتى لاتثقل عليهم ....

وبالموعظة الحسنة : التي تدخل إلى القلوب برفق ، لابالزجر والتأنيب في غير موجب ولابفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل وحسن نية . فإن الرفق في الموعظة كثيراً مايهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة . ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ .

وبالجدل بالتي هي أحسن : بلاتحامل على المخالفة ولانيل منها وتقبيح حتى تطمئن إلى الداعية وتشعر أن ليس هدفها هو الغلبة في الجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق][١]

هذا ولاتكثر في النصح والموعظة خشية الملل والنفور من المشقة . وذلك مقتدية

---

(١) في ظلال القرآن / بتصرف يسير / ٤ / ٣ - ٢٢٠٢ .

بالرسول ﷺ :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا)[1]

هذا وقد استنبط (الغزالي) الخطوات التي تقود إلى الهدى عند الأمر بالمعروف وهي أولاً التعليم والإرشاد فإن لم يعمل بمقتضى العلم يكون النصح ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوف بما تكرهه في الدنيا والآخرة علها تنزجرعنه. وتنبه إلى عيوبها ويقبح القبيح في عينها ويحسن الحسن . ويكون ذلك سراً لايطلع عليه أحد .

فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وماكان في السر فهو شفقة ونصيحة . وقد قال الشافعي رحمه الله : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .[2]

نبغض فيها معصيتها ولانبالغ في إكرامها ، بل نتعامل معها باعتدال يتناسب مع خطيئتها .

فقد يكون موقفنا معها مجرد النصح والستر . لا الإعراض عنها والهجر، أما إذا كانت داعية بدعة هجرت وأهينت ولايصح أن نلقاها ببشر وبشاشة . وإن كانت معصيتها إشاعة الفساد نعرض عنها ونقاطعها .

والداعية الحكيمة ، قبل أن تذكر أختها بالنوافل وصلاة التهجد ، تدعوها إلى الفريضة . وقبل أن تطلب منها الإلتزام بغطاء الوجه ، تدعوها إلى ستر الشعر والذراعين والساقين. وقبل أن تذكرها بإلتزام رقيق الكلام ، تدعوها إلى ترك الغيبة والنميمة وغير ذلك من آفات اللسان .

إنها ترشد وتقوم مااستطاعت ، تستثير فيها حب الخير ، بأسلوب الرفيقة

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم / الحديث / ٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين / ٢ / ٢٨٣ .

الحانية الناصحة . وإن وجدت من الأخرى الخرافة والشعوذة ، أصلحتها ودعتها إلى التأسي والاتباع ، وعدم هجر السنة .

إنها وإن غمتها المعصية ، وأغاظها التقصير ، تثابر على دعوتها ببيان واضح ولاتستعجل السير ، ولاتثنيها عثرات الطريق ، بل تستمر به بكل ثبات . ولايكون السباب باسم النصيحة ولا النقد اللاذع بحجة حب الخير .

ولايكون التقنيط من رحمة الله باسم الحرص عليها . بل تبشرها بأن التوبة تغفر الحوبة و« **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** » [البقرة : ٢٢٢]

وأن رحمة الله قريب من المحسنين . وماعليها إلا أن تتهيأ قبل الرحيل ، وتستغفر قبل أن تثقلها الذنوب .

أختي المؤمنة :

إنك إن أخلصت النصح فلابد وأن يؤثر ذلك في صاحبتك ، فإذا بها تنصاع للحق بعد أن كانت تتبجح بالباطل. وتهتدي وتتمسك بالفضائل ، بعد أن كانت شاردة عنها وقد بهرتها التفاهات ! أماإن تأخرت الإستجابة ، بل حتى لو وجدت ممن تمكن الشر في قلوبهن الإصرار والمكابرة فلا تيأسي ولا تسخطي . تصدي للشر حتى تقص أجنحته !

– قد تنصح المقصرة فتقول : ألمثلي يقال هذا ؟

أومادرت أن الرفق بها والحب لها يقتضي أن نتداركها ، لا أن تبقى سادرة في غيها ؟! وأن واجبها تقبل النقد بصدر رحب ، فالحق أحق أن يتبع !

– وقد ترشد الغافلة ، فإن نبهتها من رقدتها تقول : مالك ومالي ؟ وفاتها أنه لاخير في لذة من بعدها نار وقودها الناس والحجارة ! لكنه الهوى قد أسكرها وصدها عن السبيل ، ومنعها من قبول النصيحة ! ولوتذكرت فضيحة الدنيا وعقابها . ووعيد الآخرة وعذابها ، لقهرت هواها واستيقظت من غفلتها . وقد قال

تعالى :« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »
[النازعات : ٤٠]

وقد تحذرها صاحبتها من الذنوب ، تدعوها لتلقي حماقات الكافرات وراء ظهرها ، تذكرها بواجبها في اختيارمرضاة الله ، ففي ذلك السعادة الحقة ، لافي الإفتتان بالأزياء ولا المظاهر الزائفة .

فلاتجد منهن إلاالسخرية والضحك والتفاخر . فلاتهتم بذلك كله . فطالما سخرت الجاهلية من الإسلام ، وطالما سخر أهل الباطل من أهل الحق ولم يضرهم ذلك شيئاً .

« إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . . . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الآرائك ينظرون هل ثوب الكفار إلا ماكانوا يفعلون »[المطففين : ٢٩ - ٣٦]

أختاه :

إن ينفع النصح فانصحيهن وإلافما أصبرهن على نارٍ تلفح وجوهاً طلينها في هذه الدنيا بألوان الطلاء .

ومن قابلت النصح بالسخرية فلايحزنك فعلها ، دعيها لتحمل من خطاياك وإن كان لديها حسنات فلتهنئي بها يوم تنشر الصحف وتجديها في صحيفتك .

ولاتحزني ولاتيأسي ، فمهما احلولك الظلام قد تساهم شمعة متوقدة في إزالته، وقد تزيله وحدها إذا شع منها ضياء ينير للعابرين السبيل .

ومهما كثرت الخطايا فلايضيرك ذلك ، فعملك ورسالتك إزالتها ، حتى تعود الشاردة عن الحق ، وتضع يدها في يد أخواتها المؤمنات الجادات ، عندها تكثر الشموع المضيئة ، وينقشع الظلام ، ويعم الضياء .

وإن جاءتك النصيحة الخالصة فاقبليها ، فالعاقلة تستفيد من الرأي الصائب

مهما كان مصدره ، كما قال ابن المقفع : (لايمنعنك صغر شأن إمرىء من اجتناء مارأيت من رأيه صواباً . والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريماً ، فإن اللؤلؤة الفائقة لاتهان لهوان غائصها الذي أخرجها)[1].

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير / ٣٥ .

الفصل الثالث

من خوارم الصحبة

١- آفات اللسان وكشف الأسرار .

٢- الفحش والبذاءة .

٣- الخصومة والسباب .

٤- الاعتداء على حرمات الصديقة .

٥- الغيبة والنميمة والحسد من أسوأ الخلال .

٦- الكبر والمباهاة من أخطر أمراض القلوب .

٧- البخل والإسراف .

١- آفات اللسان وكشف الأسرار:

إن المسلمة التي تحسب أن كلامها من عملها ستضبط كلامها وتحذر غوائله ، وتقيد لسانها بلجام من التقوى ، يمنعها من الحديث إلافيما يرضي الله سبحانه . وتشكله وتحبسه لئلا تكون مما قال تعالى فيهم : « **كنا نخوض مع الخائضين** » وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال** » رواه البخاري .

ياللثرثرة المجوجة كم تستباح فيها من الحرمات ! وكم تسبب من مشاكل للمرأة ولمن يخالطها ! حتى أضحى أول مايتبادر للذهن عند ذكر« أدب الصحبة بين النساء » : هو البعد عن الثرثرة ومايتبعها من مشكلات .

فالصاحبة التقية تبعد عن التطفل ، لاتسأل عن أشياء حرجة ، ولا تنقب عن التفاصيل ، ولا تبحث عن الخصوصيات .

– فإن كانت بين جماعة من النساء ورأت اثنتين في حديث هامس بينهما . فلا تلق السمع لهما لتعلم مابينهما ، بل ولاتشغل نفسها بالتفكير في ذلك الحديث !

– وإن كان من خلاف أسري أوبين أختها وبين النساء ، لاتلح في معرفة الاسباب إلا إذا كان ذلك بقصد الإصلاح .

– بل لو كانت في بيت إحدى صديقاتها ، وبعض الغرف مقفلة لايحل لها فتحها فالاستئذان واجب قبل الدخول وما أغلقت هذه الأبواب إلا لأن بها مالا تريد المرأة أن يطلع عليه أحد.

وقد تأنس المرأة بصاحبتها، وتفتح لها مغاليق قلبها، وتحدثها بما يجول في خاطرها، تستشيرها أملة أن تجد عندها الدواء. تشكو لها علّها تجد لديها العزاء .... حري بهذه الصديقة، أن تكون في المكانة التي وضعتها بها صاحبتها فلا تتهاون بواجب الصحبة، ولاتؤذيها بإفشاء السر، بل تحترم أمانة المجلس عملاً

بحديث الرسول ﷺ : «**المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق**» [1]

إن واجب الصداقة يقتضيها الكتمان، واحترام سرية المجلس والمحافظة عليه، ورعاية الأمانة فيه. ولتخش الله ، ولاتذيع السر ، فالرسول ﷺ دعا إلى ستر المسلم بقوله: «**ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة**» رواه مسلم.

فإذا جلدتها المصائب بسياطها الملتهبة، وإذا أمضتها الحيرة، وأرقها الهم، وانقطعت بها السبل، وجدت عند صاحبتها المسلمة الأمن والطمأنينة. تبثها همومها، تتحطم على صخرة ودادها كل المشكلات، ويبقى ذلك سراً لا يعلمه إلا الله.

أما من أظهرت أسرار غيرها، فهي لم تسترها، وتلك هي خيانة لمجلس صاحبتها، حين جعلت أسرارها التي ائتمنتها عليها مضغة في الأفواه.

إن من نُذر الهزيمة أمام الشيطان، وعلامة ضعف الإيمان، إطلاق اللسان ليتحدث فيما يروق له، دون اعتبار للشرع، ومن ذلك:

وصف الصاحبة للزوج، رغم نهي الرسول ﷺ عن ذلك بقوله «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**»[2] وفي الحديث سد لذرائع الشر، ومنع للفتنة. ذلك لأن الأمر لايخلو من أحد حالين: فإن كانت الصفة حسنة: أظهرت فيها المرأة مفاتن صاحبتها، ومواطن الجمال فيها من جمال الشكل ورشاقة القد وعذب الحديث ..... فيستحسنها الرجل، ويتعلق قلبه بها، وفي ذلك من الفتنة مافيه ... عندها تثور ثائرة المرأة، وتبدأ المشاكل الأسرية من جراء افتتان الرجل بالمرأة عن طريق صاحبتها، زوجته !

وأما إن كانت الصفة سيئة، وتهجمت المرأة بها على صاحبتها، تنعتها بقبيح الصفات فهي الغيبة الحرام.

(١) رواه أبو داوود وهو حديث حسن / صحيح الجامع الصغير / ٢ / ١٢٠٧ .

(٢) رواه البخاري في النكاح .

وكلا الأمرين محرم مذموم. ومما يجب أخذه بعين الاعتبار، أنه لا يشترط أن توصي المرأة صاحبتها بالكتمان كي يعتبر ذلك سراً يجب إحترامه.

وإلى هذا أشار ﷺ في الحديث: «**إذا حدث الرجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة**» (١)

كما وأنه يجب أن لا يضيق صدر المرأة عن سرها، تقتدي بالزهراء ابنة سيد الخلق وسيدة نساء هذه الأمة: عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «**مرحبا بابنتي**». ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم أسر إليها حديثا فبكت. فقلت لها : أختصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ؟!

ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقلت: مارأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن! فسألتها عما قال. فقالت: ماكنت أفشي سر رسول الله ﷺ .

فلما قبض سألتها فقالت: إنه أسر إليَّ فقال: «**إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين. ولا أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي. ونعم السلف أنا لك**». فبكيت لذلك، ثم قال: «**ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، أو سيدة نساء المؤمنين؟**» فضحكت» أخرجاه في الصحيحين.

بمثل هذا تحفظ الأسرار، ويستقيم السلوك.

وإياك أن تكثري من الحديث عما تعتبرينه من أسرارك، وصدق قول الشاعر:

لا تفش سرك ما استطعت إلى أمرىء ... يفشي إليك سرائر تستودع
فكما تراه بسر غيرك صانعاً ... فكذا بسرك لامحالة يصنع

إن من تريد المرتقى العالي تبحث عن أسبابه.

وإلا كانت كمن يعيش في الأحلام، ومن تريد الجنة، تؤمن بالله، ثم تستقيم على

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود وسنده حسن / شرح السنة / ١٢ / ١٩١ .

شريعته وتبتعد عن محارمه، وتسير على هدي رسوله ﷺ .

٢ـ الفحش والبذاءة:

الصاحبة المسلمة تبعد عن أخلاق الجاهلات ممن لايراعين حقاً لكتاب الله أو سنة نبيه. فهي تخاف من لسانها أكثر من خوفها من عدوها. فتكبح جماحه ولا ترخي له العنان لئلا يوقعها في مغبة لا تحمد عقباها في الدنيا وفي نار جهنم في الآخرة.

تنتقي كلماتها، ولا تتلفظ بما تستحي أن تراه في كتابها يوم القيامة، يوم تنشر الصحف. يلجمها التقى والأدب عن التلفظ البذيء فهي عفة اللسان تصونه عما لا يليق، تتأسى بالرسول ﷺ إذ: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**» رواه البخاري ومسلم.

أختي المسلمة: تجنبي العبارات الفاحشة وكل مايستحيا من ذكره (كالغائط ودخول الخلاء ... وفي الكناية عنها أدب جم).

ومن تستبيح لنفسها الكلام الفاحش المجوج، قد فسدت وفسد ذوقها. وقلَّ حياؤها إذ استملحت التلفظ بقبيح الكلام، فأذهبت عن نفسها هيبة المؤمنة ووقارها. ولا غرو في ذلك فـ (الحياء من الإيمان) كما جاء في الحديث الصحيح.

إنها إذ فشلت في ضبط رغائبها والإستعلاء على شهواتها، وأصبحت أحاديثها تنم عما في نفسها، لاتعدو أن تكون داعية للتحلل من فاحش حديثها. فهي تستحق نهرها وإيقافها عند حدها بدل مبادلتها الضحك. ومقاطعة مجلسها بدل الإنسجام معها فيه.

أما مانسمع عنه من انعقاد مجالس تسخر فيها النساء، ويتضاحكن من أحاديث الفراش التي يكشفن سترها ويظهرن خباياها، يعتبرن ذلك تظرفاً وخفة

روح فهو في الواقع ليس إلا الخلاعة بعينها.

وكبر مقتاً ما تفعله بعض التافهات من تسلية الأخريات بنشر دقائق الحياة الزوجية وقد فاتهن أن هذه العلاقات إنما تسمو عن البهيمية بسمو النفس.

وإلا فبذكر وقائعها لا تتميز عن الحيوان بشيء، وقد جاء في الحديث الشريف التحذير من ذلك بقوله ﷺ : «**إن شر الناس عند الله منزلة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**» رواه مسلم.

فإلى الترفع عن ذكر الأحاديث الزوجية أمام الصاحبات، لما في ذلك من سوء الأدب وعدم الحياء، ولما يجره الإدمان في هذه الأحاديث من الاستهتار والمجون والشقاء وحصد الآثام....

فيالشقاوة البذيئة ! لقد حرمت حتى من اللفظ العف النظيف.

فها هي تضحك غيرها، ويشقيها لسانها بالكلام العاري عن كل حشمة !

٣ـ الخصام والسباب:

إن الكلام القاسي الغليظ أشد وقعاً من لهيب السياط. وقد تشفى الجروح التي تخلفها السياط، ولا تشفى النفس من ألم الكلام الجافي. وتبقى الدهر تقاسي مرارة الكلام.

«والجنس اللطيف» النسوة هن أولى الناس بالبعد عن الغلظة والخشونة في المعاملة، ليكن جديرات بهذ الوصف.

أما وقد أصبح السباب وتقاذف الشتائم الرخيصة سمة الكثيرات عند أدنى خلاف أو مشاحنة، فما ذاك التردي الخلقي إلا بسبب البعد عن تعاليم الدين: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» (١) كما ذكره الرسول ﷺ وأما المسلمة الحقة فلديها ورع يعصمها من ذلك، ويحميها من الغفلة. فهي تعين أختها

(١) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .

لا تعين عليها، تدعو لها بالهداية وترفق بها وترحمها، لاتدعو عليها باللعن، ولا تسبها أو تشتمها، تتريث وتفكر قبل الكلام لأنها تعلم أنهاتحاسب على أقوالها: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** [ق: ١٨]

* فتبعد عن اتهام الناس في عقيدتهم لئلا يرجع لها معرة ذلك وإثمه: عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه ياكافر أو أنت كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت إلى الأول**» (١) إن الخطأ لايخدش التقوى، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابين كما جاء في الحديث الشريف(٢) . أما ما تفشى في كثير من المجتمعات من الشتم بالتكفير، والإكثار من ذكر مساوىء الناس وذنوبهم. فهو بحاجة إلى إعادة نظر، وجعل تقوى الله رائد المجتمع كي يسلم من هذه الآفات. والله تعالى يقول: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾** [النساء: ٩٤] والمسلمة العاقلة لا تجعل من تصرفاتها عداوة حقة، تشقى بها هي وتمتهن بها فضيلة صاحبتها!

بل بالصبر عليها تستل سخيمتها وبمراعاة مشاعرها تصون سمعها عن أن يخدش بسوء، وقد تعارف الناس أن من يشتم يُشتم.

وبذا يصان المجتمع عن الخصام، ويسوده التعامل الراقي السامي. حتى ولو حصلت المقاطعة لصاحبة إنكاراً لمنكر فعلته، فلا يصح أن يكون ذلك الإنكار سبباً لمنكر أكبر.

فما دامت الغاية هي التأديب والزجر، لترجع العاصية عن غيها ـ فإن المسلمة ـ تتحاشاها لكن دون تشنج وشتائم، ودون تشهير وغيبة ...

ومن صفات عباد الرحمن أنهم: **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** [الفرقان: ٦٣] كما جاء في الآية الكريمة. حتى مع الضرائر، فالأولى أن تتحلى المرأة بالصبر،

---

(١) متفق على صحته .

(٢) حديث حسن / ينظر صحيح الجامع الصغير ج ٢ / ١ ٨٣١ .

وتتحمل الإساءة مادامت لشخصها أما إذا لم يكن من الرد بد، فإنه لابأس به مادام خالياً من المحرمات، ولاكذب فيه ولا افتراء ولابذاءة...

عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة (رضي الله عنهما) كلام.

فذكرت له ذلك فقال: « **ألا قلت: وكيف تكونان خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟!** »

وكان بلغها أنهما قالتا: « نحن أكرم على رسول الله ﷺ، نحن أزواجه وبنات عمه»(١)

إن الغيرة عند الضرائر إذا اشتدت مزقت الأسر، وأوقعت النساء في متاهات، ونساء السلف وأمهات المؤمنين قدوتنا في ضبط ا لنفس والتصرف بحدود الشرع.

«روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ أرسلن إلى فاطمة، فجاءت فقالت: يارسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. والنبي ﷺ نائم. فقال : « يابنية، أتحبين ما أحب؟ » قالت: نعم. قال: « فأحبي هذه. فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك ». فقلن : ماأغنيت عنا شيئاً.

فأرسلن زينب بنت جحش. قالت: وهي التي كانت تساميني في الحب. فجاءت فقالت: بنت أبي بكر ، وبنت أبي بكر.

فمازالت تذكرني وأنا ساكتة أن يأذن لي رسول الله ﷺ بالجواب، فأذن لي فسببتها حتى جف لساني، فقال النبي ﷺ : إنها ابنة أبي بكر» (٢)

فالغيرة بين الضرائر قضية فطرية، لكن التعبير عنها والتصرف من أجلها بمحرم فهو المنهي عنه.

فالواجب إذن مراقبة الله تعالى حتى في أشد الحالات، وتدريب النفس على كبح

---

(١) الإصابة - ٤ - ٣٢٩ .

(٢) رواه مسلم . وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق .

اللسان عن السباب. وقد كان رجال السلف من أصفى الناس نفوساً وأكثرهم استقامة، حتى في مقابلة الإساءة.

عن سفيان الثوري رحمه الله قال: كان ابن عياش يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر فقال: « ياهذا لا تفرط في شتمنا وأبق للصلح موضعاً، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه»(١).

ونعم الرد التقي، والتذكير الناصح لمن يقع فيه ويشتمه.

وما نجده من التمادي في السباب القبيحة وشيوعها في المجتمعات ـ حتى المسلمة منها ـ فما ذاك إلا أحد المظاهر التي تدل على بعد الناس عن الدين الحق.

وقد حذر الرسول ﷺ من سب المسلم بقوله: « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» (٢) . وقد تمثل الشاعر مكارم الأخلاق الإسلامية وهو يقول:

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشرالناس من يهوى السبابا

نعم إن من لا يحسن إلا لغة السب والشتم، هو أمهر الناس وأكثرهم حذقاً في اكتساب العداوات:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ماجرح اللسان

وأنى لنزقة تشبع غيرها من ألوان السباب والشتائم، لاترعى فيهم حق الأخوة، تهيج وتموج، وتنفجر كالبركان تلقي الحمم من لسانها ... أنى لمثلها أن تبقى لها صاحبة ؟!!

٤- الاعتداء على حرمات الصديقة :

« **كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله** » كما جاء في الحديث الصحيح.

---

(١) متفق على صحته .

(٢) متفق علي صحته .

فالمسلمة لاتعتدي على مال صاحبتها بالسرقة ، أو الخيانة ، أو الاختلاس مهما كان ذلك قليلاً ، فقد يكون له شأن عندها ، فلا تأخذه بدون إذن منها وطيب نفس.

ترد لها العارية التي استعارتها ، والوديعة التي كانت لديها ... تؤدي الأمانة استجابة لقوله تعالى :﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء : ٥٨]

أختي المسلمة ، لاتطمعك الأخوة في التمادي على أدوات صاحبتك الخاصة ، حافظي عليها ولوكانت بسيطة : من مشط ومسواك ومنشفة ... ونحوها من الأدوات الخاصة بها وحدها. وأسوأ من ذلك اغتصاب بعض حقوقها كالأرض أوالمال :

ولعل في قصة أروى بنت أويس عبرة : فقد ادعت أن سعيد بن زيد رضي الله عنه قد أخذ شيئاً من أرضها ، فخاصمته إلى مروان فقال سعيد :

أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله ﷺ ؟! سمعته يقول : « **من أخذ شيئاً من الأرض طوقه إلى سبع أرضين** » قال مروان : لاأسألك بينة بعد هذا فقال سعيد : «اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها. فما ماتت حتى عميت . وبينا هي تمشي في أرضها ، إذ وقعت في حفرة فماتت»(١)

إنها دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . وعبرة لكل من تسول نفسها الاعتداء على حرمات الغير واغتصاب أموالها .

* ومن حق الصحبة أن لاتعتدي على العرض بالقذف :

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ [النور : ٤].

فالصاحبة التقية تربأ بنفسها أن تكون من (الفاسقات) ، فتؤذي صاحبتها وتطعنها في عفتها ، وتلوك سمعتها بلسانها .

وقد قال تعالى منفراً من الإفتراء وطعن الناس في أعراضهم :

---

(١) أخرجه مسلم في المساقاة ، باب تحريم الظلم .

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾
[الأحزاب : ٥٨]

وفي قصة الإفك : عن عائشة كان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري ماعلمتِ ؟ أو مارأيت أومابلغك ؟ قالت يارسول الله أحمي سمعي وبصري . والله ماعلمت إلاخيراً .

قالت عائشة : « وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ . فعصمها الله عز وجل بالورع . »(١)

يالروعة هذا الدين الذي ربى المرأة وطهر عواطفها حتى مع الضرائر. فأكرمت نفسها أن تنزلق وراء الهوى فتزل .

هاهي أم المؤمنين زينب رضي الله عنها تنزه سمعها وبصرها الذي سيسأل :
﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء : ٣٦]

وكذا الصحابيات اللاتي تأدبن بأدب الإسلام . وتمثلن تعاليمه . قالت إمرأة (أبو أيوب الأنصاري) ، له :

يأأبا أيوب ألا تسمع مايقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك من الكذب . أكنت يأأم أيوب فاعلة؟ قالت : لا والله ماكنت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك»(٢)

وهكذا يكون حسن الظن بالمؤمنين والمؤمنات .

(إن المجتمع شديد الحساسية وفي حاجة إلى آداب اجتماعية تتفق مع هذه الحساسية . ورب كلمة عابرة لايحسب قائلها حساباً لما وراءها ، ورب شائعة عابرة لم يرد قائلها بها إلا فرداً من الناس ..... ولكن هذه وتلك تترك في نفسية المجتمع وفي أخلاقه وفي تقاليده وفي جوه آثاراً مدمرة وتتجاوز الفرد المقصود إلى

(١) أخرجاه في الصحيحين – ينظر الإصابة / ٤ / ٣٠٧ .
(٢) سيرة ابن هشام / ج ٢ / ص ٣٠٢ .

الجماعة الكبيرة ...

– كثيراً مايدمر الثقة المتبادلة في هذا المجتمع فيخيل إلى الناس أن الشر صار غالباً .

– كثيراً مايزين لمن في نفوسهم استعداد كامن للسوء ولكنهم يتحرجون أن يفعلوه ، لأن السوء قد أصبح ديدن المجتمع الشائع فلا تحرج إذن ولا تقية، وهم ليسوا بأول من يفعل !

– وكثيراً مايذهب ببشاعة السوء بطول الألفة ، فالإنسان يستقبح السوء أول مرة بشدة ، حتى إذا تكرر وقوعه ، أوتكرر ذكره خفت حدة استقباحه والاشمئزاز منه ...

ذلك كله فوق مايقع من الظلم على من يتهمون بالسوء ويشاع عنهم – وقد يكونون منه أبرياء .)[1]

إن الآلام التي تصيب المفترى عليها قد تقض مضجعها ، وقد تؤدي إلى إصابتها بالأمراض الجسمية والنفسية إلا أن يتغمدها الله برحمته ..

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها – في قصة الإفك –

« فأصبح عندي أبواي ، وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي»[2]

والواجب الذي يحتمه الإنتماء لهذا الدين : هو كف الألسنة عن الخوض في الأعراض والبعد عن التشهير وقد قال جل شأنه :

﴿فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾ [الحجرات : ٩]

قال البغوي (رحمه الله) : (نهى عن تتبع أخبار الناس ، لئلا يقع في حسده إن كان خيراً . ولايظهر عورته إن كان شراً)[3]

---

(١) في ظلال القرآن / ج ٢ / ٧٩٥ .

(٢) رواه البخاري / الشهادات / ٢٦٦١ .

(٣) شرح السنة / ١٣ / ١١٢ .

فكيف بمن جعلت همها تتبع العورات وفضحها ، ونشر الشائعات ؟! أين مراعاتها لحق الصحبة ؟!

وما نجده في المجتمع من سرعة انتشار قالة السوء ، إلانتاج خواء القلوب عن الإيمان ، وبعد عن التمسك بأهداب الدين .

* **ويعتبر التجسس اعتداء صارخاً على حرمات الآخرين :**

ومن النساء من همها تتبع عثرات الأخريات ، والبحث عن أخطائهن ، والتماس سقطاتهن . وهي في ذلك تتعب نفسها ، وتهدر وقتها ، وتخسر صديقاتها وتضيع دينها ...

ومن تمكن الشر في قلبها تفننت في البحث عن عورات المسلمين وقد يصل بها الأمر إلى أن تضع آلة التسجيل في محفظتها !! ولربما كانت جلساتها مفعمة بالهمس المشين ، وأكثر مايسر خاطرها : التشهير بغيرها على الملأ ...

إن صاحبتها أول من تصاب بأمثالها ، فتكال لها التهم ، وتلفق عليها قالة السوء !

إن أمثالها شؤم على صاحبتها ، تشوه سمعتها وتتخمها بالمشكلات !

والمسلمة الصالحة لاتبحث عن الخصوصيات ، ولا يرديها الفضول وحب الاستطلاع المفرط ، وإن نفث الشيطان في نفسها عن أختها السوء، ردت كيده واستعاذت منه ، ولم تحاول التحقق ، ولاتدع الهواجس تسيطر عليها فتتجسس وفي الحديث النبوي التالي تقريع شديد لهذا الصنف من الناس:

– عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه . لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم . فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته . ومن تتبع الله عورته

يفضحه ولو في جوف بيته » [1]

وأي عقاب أبشع من هذا المصير ؟! وأي فضيحة أشنع من هذه الفضيحة ؟!

*** ومن ذلك سوء الظن :**

« إن سوء الظن بالمسلم من غير داع أو مبرر ، هو مركب وعر وسلوك شائن ، وآفة ضارة بالمجتمع الإسلامي ضرراً بليغاً . لأنه يقطع حبال الأقربين ، ويزرع الشوك بين أفراد المجتمع ، ويدفع المرء إلى أن يغتاب من ظن به السوء أويحتقره أويقصر في حقه . وقد يجره ذلك إلى أن يتمادى في سوء الظن فيتهم أخاه بأمورلاصلة له بها ، ويلصق به مفاسد هو بريء منها . وذلك كله وبال وضرر اجتماعي خطير)[2]

فالمسلمة التقية لاتطلق لخيالها العنان . ولاتظن بصاحبتها الشر . ولاتجعل همها البحث عن العيوب ، بل تغض الطرف عنها (لوحصلت) : كما يقول الشاعر:

أحب من الإخوان كل مواسي وكل غضيض الطرف عن عثراتي

وإن تعددت محامل الكلام فهي تحمله على الوجه الحسن . وتتقبله ببساطة أخوية ، لاكمن تبحث دائماً عن الأسوأ !

حتى نجدها لاتلقى غيرها إلا متجهمة غاضبة ، أومنزوية عاتبة!! والمسلمة صحبتها نقية طاهرة بعيدة عن كل شائبة ، بعيدة عن كل مايوهن وشائج الأخوة أويقطع روابطها .

فلاتسارع إلى قذف الإتهامات إلى غيرها ، ولاتصبح جلسات المسلمات معها للتحقق من الظن السيء ولو عن طريق التجسس .

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داوود وهو صحيح / ينظر صحيح الجامع الصغير / ٢ / ١٣٢٣ .

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام / ص ٨٤ .

فقد نهى الرسول ﷺ عن تلك المساوىء الخلقية ودعا إلى الأخوة بين المسلمين قال عليه الصلاة والسلام : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولاتجسسوا ولاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخواناً** »[١]

٥- الغيبة والنميمة :

وكما أن الصاحبة في حضور صاحبتها محبة لها وناصحة ، فكذا في الغياب تصون سمعتها ولاتذكرها بسوء .

إن حق الأخوة يقتضي النصح والستر لاالإعلان والتشهير . وما الفائدة التي تجنيها من تنال من الآخرين وتعمل على تجريحهم وتشويه سمعتهم ؟!

وما الكسب غير المباءة بالإثم ومحق الحسنات التي كانت تعملها لتعطى رغم أنفها لمن اغتابته . لذا فهذا هو الإفلاس الحق كما بين الرسول ﷺ بقوله : «**أتدرون من المفلس ؟**» قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع فقال : « **المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في النار**»[٢]

وكان الفضيل رحمه الله يقول : (إذا ظهرت الغيبة انتفت الأخوة في الله . إنما مثلكم في ذلك الزمان مثل شيء مطلي بالذهب والفضة داخله خشب . وظاهره حسن).

وماذا عسانا أن نقول وقد أصبحت الغيبة ملح المجالس ونزهة الفارغات . وهانت الأخوة على البعض فإذا بالمرأة تحاكي صاحبتها في طريقة الكلام أوالمشي

---

(١) رواه الشيخان / شرح السنة ١٣ / ١٠٩ .

(٢) رواه الإمام مسلم في البر والصلة ، باب تحريم الظلم .

كمشيتها ، أوغير ذلك مما تتأذى به .

كأن تمد فمها إلى الأمام معرضة بشكل فمها !

وقد تقول متظاهرة بالتقوى وتعرض بصاحبتها : الحمد لله الذي عافانا من الكذب ، أو: أسأل الله أن يعصمنا عن سوء الخلق .... أوأن يكمل علينا عقلنا ...... !! ولوكانت حقاً غضبت لله لكان عليها أن تستر، وكان ﷺ إذا أراد أن ينصح قوماً يقول : مابال أقوام يفعلون كذا وكذا ولايسميهم . عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل مابال فلان ولكنه يقول : مابال أقوام يقولون كذا وكذا)[1] إن جرح اللسان أشد إيلاماً من جرح اليد . بل إن وقع اللسان أشد فتكاً من طعن السنان ، لمن كان يحس ويقدر مرامي الكلام .

* ومن الغيبة ماتتحدث به بعض النسوة في الهاتف : ففي اتصالاتهن تسلق الصاحبة غيرها ، وتسمها أبشع ألوان التحقير والإستهزاء...

ولو أمضت النظر في سلوكها وتصرفاتها هي ، لوجدت أن عندها من المثالب مايفوق الأخرى ، وصدق المصطفى ﷺ :

« يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه »[2]

ولوتفكرت في جميل خصال أختها ، وقبح ماقد تجده من خصالها هي . لجعلت من ذلك التفكير حاجزاً يقيها مغبة السخرية ولأحجمت عن غيبة أختها وذكرها بما تكره وقد قيل :

ومن العجائب والعجائب جمة ... أن يلهج الأعمى بذكرالأعور!

أما الصاحبة الصالحة : فإن لقلبها المستنير بالله ضوابط قوية متينة ، يحددها القرآن الكريم ، وتوضحها السنة المطهرة . فيرشدها دينها ويصونها عن النزوات

---

(١) رواه أبو داوود / صحيح الجامع الصغير / ج ٢ / ٨٥٧ .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه / الترغيب والترهيب ١ / ٢٣٦ .

الحمقاء . إنها ذات تصرفات سامية تتناسب مع سمو مفاهيم هذا الدين .... وإن خذلتها نفسها فارتكبت حماقة الأخريات ، وشاركت في الغيبة ..... فهي أوابة للحق ، ترجع عن خطئها ، وتستغفر ربها وتنوي ألاتعود ..... إن إيمانها العميق جعل لديها حصانة خاصة تمنعها من الإنزلاق في الآثام . كيف لا وهي تحاسب نفسها على الكلمة ، بل على الهمسة والنظرة والفكرة . وهي تتلو وتتدبر قوله تعالى :﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ [الهُمزة : ١]

وتستشعر في جنباتها أي عقاب ينتظر الساخرة المستهزئة وهي تتقلب في الويل والثبور .

لذا فهي تتنزه نفسها عن كل ألوان الضعة والدناءة وتبعد عن المحرمات .

* **الذب عن المغتابة:**

وإن جمعها المجلس بأمثال هؤلاء ، ممن اعتدن أكل لحوم أخواتهن ..... فإنها تقوم بواجبها في الدفاع عن المغتابة والذب عنها، ونصرها . فبذلك تصون عرضها عن الظلم . وتجبر من اغتابتها على عدم المعاودة .والكف عن الإستطالة في أعراض المسلمات .

(فمن حق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة ، وتبكيت المتعنت ، وتغليظ القول عليه . والسكوت عن ذلك موغر للصدور، ومنفر للقلب ، وتقصيرفي حق الأخوة)(١)

ومع بالغ الأسف ، سأذكر نماذج لهذا الموضوع تكاد تكون يوميه في مجالس النساء :

– « حماة » تحمل على «الكنة » فتذكر لها من قبيح الأوصاف كيت وكيت ...

– وزوجة الابن تذكر أم زوجها بسوء حتى لاتكاد تجعل لها فضيلة .... وسؤال

---

(١) إحياء علوم الدين / ٢ / ٢٨٢ .

يلح إلى جواب :

أو ماكان الأجدر بجليستها وصاحبتها وأختها المسلمة أن تذكرها بالله ؟؟ أوتذكر على الأقل حسنة واحدة من حسنات المغتابة ؟؟

فقد ترقق بلين كلامها قلب المرأة على أم الزوج فتكون معواناً لها ولزوجها ليكسب رضى الله ... لاكمن تنفرها منها وتدعو إلى إهمالها وعدم مساعدتها ...

وبجميل نصحها ، قد تذب عن زوجة الابن ، وتبين أن ماتتصرفه ، أموراضحت عادية ، فتهدأ (الحماة) وتنجلي غمة قلبها ويزول الخلاف .... ولنا في أدب النبوة خير أسوة في هذا المجال . فقد كان ﷺ هوالمربي الحكيم لأزواجه ولأمته أجمعين:

« اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه ، واجتمع إليه نساؤه فقالت صفية : إني والله يانبي الله لوددت أن الذي بك بي . فغمزن أزواجه ببصرهن فقال: «مضمضن !» فقلن : من أي شيء ؟ فقال :« من تغامزكن بها » . والله إنها لصادقة».[(١)]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا وقال بعض الرواة تعني قصيرة فقال : «**لقد قلت كلمة لومزجت بماء البحر لمزجته**». [(٢)]

هكذا يؤدبنا رسول الله ﷺ ولنا فيه خيرأسوة . ونجاح في الدارين .

وهنالك أسباب تبعث على الغيبة ذكرها العلماء ومنها :

١- أن يشفي الغيظ فتتشفى بذكر المساوىء .

٢- موافقة الأقران والمجاملة لهم .

٣- إرادة التصنع والمباهاة فترفع نفسها بتنقيص غيرها .

٤- الحسد : فهي تحسد من يثني عليها الناس ، فتريد إسقاط ماء وجهها

---

(١) الإصابة / ٤ / ٣٣٩ .

(٢) رواه أبو داوود والترمذي وقال حسن صحيح / الترغيب والترهيب / ١ / ٥٠٥ .

كي يكفو عن كرامتها .

٥- اللعب والهزل وتزجية الوقت بالضحك .

٦- السخرية والاستهزاء .

والكفارة هي : الثناء على من اغتابتها والاستغفارلها .

وأما العلاج الناجح للكف عن الغيبة : إنماهوأن ينظر في السبب الباعث على الغيبة ، فإن علاج العلة يقطع سببها .

وكذلك تعلم تعرضها لسخط الله تعالى بغيبتها ، وأن الغيبة محبطة للحسنات يوم القيامة ، فإنها تنقل الحسنات إلى من اغتابتها بدلاً عما استباحته من عرضها . فإن لم يكن لها حسنات ، نقل إليها من سيآت الأخرى)[١]

- والغيبة خصلة ذميمة ، تجعل صاحبتها ذات وجهين والعياذ بالله . (والمرأة المسلمة الصادقة لها وجه واحد لاوجهان . وإنه لوجه أغر أزهر أبلج مشرق واضح لايتلون ولايتغير. تلقى به الناس جميعاً . ولايغيب عن فطنتها أن المرأة ذات الوجهين منافقة . والإسلام والنفاق لايجتمعان ، والمنافقات في الدرك الأسفل من النار)[٢] نعوذ بالله من خصال النفاق كلها ......

- ومن ذلك المجاملات الكاذبة تعملها البعض بين المتعاديات : تثني على كل منهما لمعاداتها الأخرى ، فإن قابلت واحدة قالت : جميل منك كذا إن مقاطعتك لفلانة أفضل ماتعملينه !

ثم إذالقيت الأخرى قالت لها : يسلم فمك ، (ذلك على كلام قبيح كانت قد قالته) !

إن روح الشر قد تمكن فيها وسلبها كل فضل حتى الكلمة الطيبة ! فهي تتملق من جهة ، وتحيك الدسائس من جهة أخرى .

---

(١) إحياء علوم الدين / ٣/٢٢٨ - ٢٣٥ - بإيجاز .

(٢) شخصية المرأة المسلمة / للهاشمي / ٢٩٠ .

تلقى الأطراف المتضادة ، وتظهر الرضا والثناء لأعمال كل طرف . وتزخرف الكلام ..... حتى إذا غابت عنها ، سترت خيرها ، وأظهرت خلاف ماتبدي لها . وتعتبر أن ذلك من اللياقة الإجتماعية . وماهو في الواقع إلاالتملق والعجزعن مواجهة كل واحدة بالحقيقة التي تحوك في صدرها . فهي تمدح في المواجهة وتغمز في القفا .تسلقهن بلسانها في غيابهن ، وإذا حضرن تظهرلهن المحبة والوداد . وتعتبر أن ذلك كياسة . بل وتمدحها الأخريات (الغريرات) بأن لديها حسن سياسة . وفاتها أن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه كما ذكر الرسول ﷺ (١).

إنها إن جالست غيرها تجالسها وهي تظهر مودتها ، ولكنها في واقع الأمرلا تفرح إلا لخطأ صاحبتها ، أولأنها أصابت فقط جزءاً من الحقيقة . ياللأخوة الكئيبة! ويالخسارة الوقت مع أمثالها !

فذات الوجهين يسوؤها الخير الفعلي لدى غيرها . فهي حاسدة ومغتابة ، فارقت بشاشة الإيمان قلبها .

فالبعد البعد عن أمثال هؤلاء-أختي المسلمة- إذا عجزت عن إصلاح أحوالهن .

اما النميمة فهي :

نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريمها . قال تعالى :﴿ **ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم** ﴾

[القلم : ١٠-١١]

والمشاء بالنميم يسعى بين الناس ليفسد بينهم ، ويقطع أواصرهم ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سوء نية ، وفساد طوية . لما في النميمة من إشعال الفتنة بين الناس ، وإثارة نيران الشحناء والبغضاء بينهم .

فكم من بيوت هدمت ، وأسر تشتت ، ورحم قطعت ، وصدور أوغرت بسبب

---

(١) حديث متفق على صحته .

النميمة .

لقد ساء النمامون رؤية المسلمين تشملهم روح المودة . وتصل بينهم وشائج الحب يتعاونون على الخير، ويتحدون على أعدائهم . فإذا بهم يقلبون الحب عداوة والاتحاد تفرقاً وبغضاً . فتقطع روابط المودة ، ويتبعثر المجتمع .

وإن ساد هذا – والعياذ بالله – يكون مايكون من طمع الأعداء بالمسلمين وغلبتهم[1] ماذا قال سيد البشر عن تلك الثرثارة النمامة ، وقد قيل له : إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ؟ قال : « **هي في النار** » رواه أحمد .

فما نفعتها كثرة الصيام ولا الصلاة مادامت لم تنهها عن الفحشاء والمنكر. فإن نفسها المريضة قد ساءتها رؤية المحبة بين المسلمات ، فإذا بها تضرم العداوة بين الجارات ، وتزرع البغض والضغينة بنقلها الكلام بينهن .

وقد يكون الباعث للنميمة إظهارالحب والتملق للمحكي لها . أوالخوض في فضول الكلام . وقد قيل من كثر كلامه كثر خطؤه . وعلى كل حال فإن نتائج النميمة الأليمة ، وثمارها المرة تحكي مدى قبحها .

– عجباً ! إن إحداهن تفاخر بصداقة فلانة قائلة: والله لولا أن فلانة أخبرتني عن (كذا) ماعلمت!

لقد أخبرتها (فلانة) بما يسوؤها ونقلت إليها الكلام الذي يغم خاطرها ومادرت أن (فلانة) تلك نمامة وقد قيل: عدوك من بلغك لا من شتمك. فماذا كان ردها؟ ، لقد أتمت الموقف بنميمة أسوأ! لقد قالت مجيبة: ياويحها! هي قالت فيك كذا وكذا .... ، ولو أرادت لنفسها عمل العقلاء الفضلاء لكان لها موقف آخر ولعملت كما يعملون:

ـ سعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبدالملك فجمع بينهما، فأقبل زياد

---

(١) الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة / ١٦٨ .

من الرجل وقال:

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليــاً	فخنت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا	بمنزلة بـين الخيانــة والإثــم

- وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري مايزال يذكرك في قصصه بشر.

فقال له عمرو: «ياهذا، مارعيت حق مجالسة الرجل، حيث نقلت إلينا حديثه. ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره. ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين»[(١)]

فلو أن كل نمامة تذكرت مثل هذا الموقف الذي لاتحسد عليه، لما أقدمت على نقل الكلام. ولو تذكرت أليم العذاب الذي ينتظرها في القبر الموحش لفرت من النميمة مهما كانت الدوافع.

ومن حملت إليه النميمة فالواجب عليه ستة أمور[(٢)] :

١ـ أن لايصدقه لأن النمام فاسق.

٢ـ أن ينهاه عن ذلك ويقبح فعله.

٣ـ أن يبغضه في الله.

٤ـ أن لايظن بأخيه الغائب السوء.

٥ـ أن لايحمله ما حكي له على التجسس.

٦ـ أن لايرضى لنفسه مانهى النمام عنه ولايحكي بنميمة. فيقول فلان قد حكى لي كذا وكذا، فيكون نماماً ومغتاباً.

ولتذكر قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾** [الحجرات : ٦].

وهكذا: فالمرأة إذا سمعت النميمة، لا تدع الوساوس تنتهشها، ولا تشغل

---

(١) إحياء علوم الدين / ج ٣ / ٢٤٦ .

(٢) المصدر السابق / ٢٤٤ .

خاطرها في قيل وقال، ولاتغتم أو تضخم بذرة الشك. ولا تطلق لأفكارها العنان لئلا تقع في الحرمات بسوء الظن.

اللهم إني أعوذ بك من جليسة ماكرة تراني وقلبها يرعاني، إن رأت حسنة كتمتها، وإن رأت سيئة نشرتها.

* **الحسد:**

هو تمني زوال النعمة عن مستحق لها. وهو خلة ذميمة حاقدة، تودي بصاحبها في المهالك، (فإن سعى لها كان باغياً وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهي المسلم عنها في حق المسلم نظر: فإن كان المانع له من ذلك العجز، بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور. وإن كان المانع له من ذلك التقوى، فقد يعذر، لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسية، فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يقوم على العمل بها).[(١)]

إنه مرض يقتل الود ويئد كل صحبة ...

إنه داء يدل على ضعف الإيمان، يدفع صاحبته إلى كل عمل فيه لؤم. فهي لا تفتأ تذكر من تحسد بسوء. وقد تزرع الأشواك في طريق أعز الناس إليها لتفوت عليهن فرصة السبق.

إنها إن رأت فرح غيرهن وسرورهن، ملاء الغيظ باطنها، أو ما كان الأجدر بها أن تتق الله وتميط عن قلبها الحسد. وترضى بما رضيه الله لها؟

وإن رأت المحسودة نجاح غيرها وإعجاب الناس بهن، تسعى لتحط من أقدارهن. وماعسى أن يضر ذلك المحسودة ؟!

إن همتها العالية تجعلها لا تلق لها بالاً، بل تدع الحاسدة وشأنها، وتتلو المعوذات وتتابع طريقها متوكلة على الله وحده.

---

(١) فتح الباري / ١٠ / ٤٩٨.

(والرجل الذي يكره المنعم عليهم ويود لو يمسون محرومين ويصبحون ضائعين رجل صدته عن حقيقة الحياة ظلمات شتى:

إنه أولا محصور بالدنيا ومتاعها، يقاتل عليها، ويبكي وراءها، ويتبع بالغيظ من نالوا نصيباً ضخماً منها. وهذا خطأ في تقدير الحياتين. بل لعله جهل أو ذهول عن الحياة الأخرى. وما ينبغي لها من استعداد، يجب أن يتأهب له المرء أو يأس لفواته. قال تعالى: **﴿يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** [يونس: ٥٧-٥٨] ثم أن الحاسد بعد ذلك شخص واهن العزم كليل اليد، جاهل بربه وبسننه في كونه. لما فاته الخير لأمر ما تحول يكيد للناجحين:

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه — فالكل أعداء له وخصوم

وكان أجدى عليه أن يتحول إلى ربه يسأله من فضله. فإن خزائنه ليست حكراً على أحد بعينه. ثم يستأنف السعي في الحياة. فلعل ماعجز عنه في البداية يدركه ثانية)(١)

- إن الحسودة فاشلة ترى النجاح استهانة بها . فما أن تتيقن من تفوق الأخرى حتى تغلي في قلبها الكنود مراجل الحسد، وتبدأ التطاول عليها وتنفث سمومها غيبة تارة وافتراء تارة أخرى.

إنها تستكثر النعمة على الغير، وتتألم من رؤية صاحبتها ترفل بها، وتقاسي الكثير في الدنيا والآخرة. فهي في الدنيا في هم وغم لايؤثران على مسحودتها شيئاً بل العكس فإنه **﴿لا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾** [فاطر: ٤٣] كما قال تعالى. وكما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة — طويت أتاح لها لسان حسود

فلماذا تحول حياتها إلى نكد يجعلها تبغض كل صاحبة فضل، وتتمنى لها

---

(١) خلق المسلم / ١١٢ .

السوء ؟! وتعيش أبداً في هم وضنك؟! ويكفيها ذلك عقوبة.

(ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه. فإنه في أمر عظيم لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت امتد عذابه، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم)(١)

وأكثر ما يكون الحسد كما هو معروف:

- بين النساء، فإذا تناوشت المرأة الغيرة، كادت لغيرها ودفنت فيها كل خصال الخير.

- بين الأقران، يتصيد الواحد لغيره الأخطاء أو حتى الشبهات.

- بين الزملاء في العمل أو الدراسة، يتربص الحسود الدوائر بمن يحسده وقد يكذب للإيقاع به.

لقد كانت (س) حسوداً، ينم وجهها الكالح عما في نفسها من الخبث.

ما أن تجلس مجلساً حتى تنتقص فيه جميع من تعرف من النسوة الفاضلات .. وما أن تسمع قالة السوء عن إحداهن حتى تنفرج أساريرها. إنه منتهى الحسد كما قال تعالى **﴿إن تمسسك حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾** [آل عمران: ١٢٠].

أما المسلمة التقية: فهي لاتكبت أختها ، ولاتكتم الخيرفيها حسداً . وإنما تساندها ، وتدلها على مواضع القوة فيها .

فإن كان عند صاحبتها موهبة شعرية أوعلمية أوقصصية أومعرفة بأصول الخياطة ....إلخ تشجعها بقدر استطاعتها ، وتأخذ بيدها وتنهض بها ، وتظهر مزاياها الطيبة . ففي ذلك عون للمسلمة على نصرة هذا الدين . وهداية الآخرين ... وتنافس الأتقياء إنما يكون في أعمال الخيروالطاعات . « والذين يتنافسون على شيء من أشياءالأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم ، إنما يتنافسون في حقير

---

(١) صيد الخاطر / ٢٩٥.

قليل فانٍ قريب . والدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة.... والتنافس في نعيم الآخرة لايدع الأرض خراباً بلقعاً كما قد يتصور بعض المنحرفين ، إنما يجعل الإسلام الدنيا مزرعة الآخرة ، ويجعل القيام بخلافة الأرض بالعمار مع الصلاح والتقوى وظيفة المؤمن الحق .... وإن قوله « **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** » لهو توجيه يمد بأبصار أهل الأرض وقلوبهم وراء رقعة الأرض الصغيرة الزهيدة بينما هم يعمرون الأرض ويقومون بالخلافة فيها ويرفعها إلى آفاق أرفع وأطهر من المستنقع الآسن بينما هم يطهرون المستنقع وينظفونه . ألا إن السباق إلى هناك ! « **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** » كما قال تعالى : ﴿**إن الأبرار لفي نعيم. على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾ [المطففين : ٢٢-٢٦]

ولو تطلعت الحاسدة إلى دار القرارلمامدت عينهاإلى ماعند غيرها . ولحاولت أن تلحق بالأخرى في العمل الصالح ، وأن تعمل الأفضل وتجد وتجتهدو تجتنب التقصير:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : «**لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار. ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**».

فهذه غبطة لاتمني زوال النعمة عن الآخرين . وإنمايتمنى صاحبها لنفسه الخير ليسابق في الأجر. وذلك هوالتنافس الجدير بأن يسمى «التنافس الشريف» كما يقال.

ومن أفضل العلاج للحسد ذكر الله جل وعلا :(٢)

يذكر عن أنس رضي الله عنه أنه قال :ماأنعم الله على عبد نعمة في أهل ولامال

---

(١) في ظلال القرآن / م٦ / ٣٨٦٠ .

(٢) زاد المعاد / ٢ / ٣٤ .

أو ولد فيقول :ما شاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت . وقد قال تعالى : **﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾** .

وكذلك يجب أن لا يكون الحسد مثبطاً عن عمل الخير بل العكس :

ومن كلام ابن تيمية في هذا المجال :

لولم تكن لي في القلوب مهابة ... لم تكثر الأعداءفيّ وتقدح
كالليث لماهب خط له الشرى ... وعدت لهيبته الكلاب النبح
يرمونني شزرالعيون لأنني ... غلست في طلب العلا وتصبحوا[1]

وقد قال أحد الشعراء الحكماء :

عداتي لهم فضل عليّ ومنة ... فلاأبعد الرحمن عني الأعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

هذه نظرة العاقل فالتنافس الكريم دافع للعمل ، أماتحطيم الآخرين فهومطلب نفسي لئيم .

هذه خصال ثلاث : الغيبة والنميمة والحسد ، لوانتشرت في مجتمع حطمته وهدت كيانه ونشرت فيه الحقد والفوضى وأدت به إلى الدمار.

٦ـ الكبر والمباهاة:

ولا بد من أن تبتعد الصاحبة المؤمنة عن الكبر وما يؤدي إليه من المفاخرة والأنانية واحتقار الأخريات.

(والكبر يستشري في النفس، ويتمكن من قلب الإنسان ويملك عليه حسه وتفكيره، يكون أسوأ مايصيب الإنسان من أمراض القلب. فما من خُلق من الأخلاق المذمومة، إلا وتجد صاحب الكبر متصفا به.

فهو لا يحب للمؤمن ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، ولا يتخلص من

---

(١) الرسائل المفيدة / ٢٤٢ .

الحقد، ولا يتغلب على الغضب والغيظ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح، ولا تعليم عالم، ولا يعامل الناس إلا بالازدراء والاحتقار وإذا مشى اختال، وإذا تكلم افتخر، وإذا نصح سخر من الناس وحقرهم، وإذا تحدث تقعر في الكلام، وتشدق، وإذا جالس الناس غضب إذا لم يكن له صدر المجلس، وأول الكلام وغاية التعظيم والاحترام.

فلذلك أخبر النبي ﷺ «أنه لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقد حجب التكبر المتكبر عن الجنة لأنه حجب عن الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة. أعاذنا الله جميعاً منه ورحمنا من آثاره)[1]

فالكبر آفة الرذائل، وأخطر أمراض القلوب.

«من تواضع لله رفعه» كما جاء في الحديث الصحيح.

* والصاحبة التقية لا تتعالى على غيرها، ولا تشمخ بأنفها تيهاً وكبراً، ولا تصعر خدها استهانة بهن استجابة لقوله تعالى: **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور﴾** [لقمان: ١٨] والمتكبرة جاهلة حمقاء، تبوء بمقت الله لها، ومقت من حولها. وقد قيل: « لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء، ولا الشحيح في المحمدة» ولن تحصل إلا على بغض حتى أقرب الناس لها، فالكل سينبذها ويضيق ذرعاً بخيلائها ..

إنها لو تأدبت بأدب الإسلام لما استعظمت نفسها واحتقرت غيرها ... ولوتذكرت موقفها يوم الحشر ، لما أنفت من المساواة معهن ، ولما أذاقتهن ألوان الأذى بالازدراء والترفع عليهن ....

كم تتحدث الصحف والمجلات عن واقع اجتماعي مرير! عن شكوى ممن كن يتظاهرن بالصداقة ، حتى إذا اغتنت إحداهن بعد فقر قلبت لصاحبتها ظهر

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام / حسن أيوب / ١٠٥ .

(١) رواه مسلم .

المجن، وبلغ بها الأمر أن أصبحت تتهكم عليها ، على طريقة لباسها وزينتها ومعيشتها ...! ومادرت أن فقيرة اليوم قد تصبح غنية الغد ، والله تعالى يقول: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ [آل عمران : ١٤٠]

وأن السعادة ليست بالمال وماتملكه اليد ، وإنما هي في تقوى الله والخلق القويم الذي يضفي الطمأنينة و« **ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس** » كما قال ﷺ . (١)

وعند الله تعالى تستوي الغنية والفقيرة ، من لبست أبهى الثياب وأغلاها ومن اكتفت بستر العورة ، من عاشت بين أثاث ورياش وفي بحبوحة من العيش ، ومن اكتفت بحد الكفاف ، فالتفاضل إنما هو بالعمل الصالح وقد قال تعالى : ﴿**إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً**﴾ [الكهف : ٧] لا أيهم أحسن ثياباً ! والصالحة تُعرف من أعمالها لامن مظهرها وثيابها . ولتذكر المتكبرة بالمال أنه ليس مكرمة لها بل فتنة وابتلاء .

و« **من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله ثم يلهب فيه النار** » (٢)

وأي خير في ثياب ستكون ناراً وشناراً على صاحبتها ؟! والرخاء لايدوم .

– لقد رأوها تشتري من المتجر ، والبائع يعرض عليها بضائعه ... وكلما عرض شيئاً عليها ، لوت شفتها وردته باستهجان ثم قالت : « هذا للفقراء غيري ! »

ومرت الأيام فإذا بزوجها يصاب بمرض أقعده عن العمل ، بل أفقده قواه العقلية ، وأنفقت كل ماديها من وفر مدخر .... ثم باتت تعيش على إحسان ذوي الفضل ، هلا اعتبر ذو البطر ! حقاً : ﴿ **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾ [العلق : ٦–٧].

---

(١) حديث متفق على صحته / صحيح الجامع الصغير ٢ / ٩٤٨ .

(٢) حديث حسن ، رواه أبو داوود والبيهقي .

– إن تكبرت بالكثرة والجاه ، فكم جماعة شتت وكم أسرة تشردت فلم الغفلة ؟! ولم غرور النعمة الذي جعلها تسيء الأدب فتكاثر بنفسها وبجاهها ؟! وقد يبلغ الأمر بالبعض إلى الإعتزاز بالأقارب ولو كانوا من الفساق والعصاة لاالشيء ، إلا لأن لهم مناصب أوصلتهم إلى جاه دنيوي !

وما الفخر بالأنساب والتعصب للآباء بالباطل إلا من صفات الجاهلية حذر منه الرسول ﷺ « **ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن** »[١]

إنه لتصوير رائع يساوي بين هؤلاء والجعلان التي لا تعيش إلا بين القاذورات ! فالكبر وما يؤدي إليه من المفاخرة والهزء والسخرية يمزق الأواصر وقد قيل في الأمثال الأجنبية : تبطل الصداقة عندما تتوقف المساواة .

والإسلام عدو للتعصب الأعمى ، جاء ليحطم مافي الجاهلية من تفاخر بالآباء والأجداد فلتذكرمن تعير غيرها ، قول الرسول ﷺ لأبي ذر وقد عيَّر رجلاً بأمه قال له : « **إنك إمرؤ فيك جاهلية** »[٢]

أما مانجده في مجتمع النسوة من أن كثيرات يعميهن التعصب للجنس :

فإذا بالواحدة بعد أن تستفيد من زميلتها وصاحبتها ، تتفاخر عليها ، ولاتجد غضاضة في أن تقول لها في إحدى الولائم :« تفضلي على الفضلة »[٣] وتتعمد في ذلك جرحها ، لا لشيء إلا لأنها من بلد آخر !

ثم تترك صاحبتها مكسورة النفس ، تغص بخيبة الأمل من صاحبة لم يؤدبها الإسلام ، وطاش صوابها إذ رأت الغنى بعد الفقر ...

لقد أبطرها الترف ، وأفسدها الغنى ، فأصبحت سادرة في كبريائها ، مستهترة بكل قيمة وفضيلة بدل أن تشكر الله على النعم التي ترتع بها . وقد قيل :

---

(١) رواه أبو داوود في الأدب ينظر سنن أبو داوود / ج ٥ / ٣٤٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان .

(٣) أي فضلات الطعام .

«اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه » !

– وإن اختالت بجمالها ، أما علمت أنه لو توعكت صحتها ، وتوالت أمراضها ، زال عنها كل جمال ؟!

وأضحت بعد ذلك هيكلاً عظمياً كئيباً يؤرقه الأنين ، فأين الجمال الحقيقي ؟!! إنه جمال العمل الصالح .

ومن أجل استعراض الجمال تقع النسوة في منكرات سخيفة ، يعملنها مباهاة ومفاخرة : « ومن الطامات التي تقع فيها كثير من النساء المسلمات في هذا العصر ، التفاخر والتكاثر بالملابس والأزياء الفاخرة الغالية الثمن في ليالي الزفاف. فإذا حفلة الزفاف تستكيل إلى عرض أزياء تشتد فيه المنافسة والتسابق إلى حد السرف والخيلاء والمباهاة الجوفاء بعيداً عن أي أثر للتعقل والتماسك والاعتدال . وتبدو هذه الظاهرة في أوضح صورها حيث تقوم العروس في ليلة الزفاف بارتداء بدلاتها جميعاً وقد يبلغ عددها عشر بدلات ، ترتديهن واحدة إثر واحدة ، وكلما ارتدت بدلة جاءت وعرضتها على الحاضرات ، كما تفعل عارضات الأزياء تماماً في بلاد الغرب . ولم يدر في خلد السيدات اللواتي تفشت بينهن هذه العادة أنه قد يكون بين الحاضرات من لاتسعفها قدرتها المالية على شراء بعض هذه البدلات فتمتليء نفسها حسرة وألماً ، وقد تدب في نفسها عقارب الغيرة والحسد والضغينة والحقد نحو العروس وأهلها ، ومن شابههم من ذوي اليسار والنعمة »[1] وما أكثر صور المباهاة الفارغة بين النساء :

– وأكثر مايشق على النفس مانسمعه من بعض من تصدرن للدعوة من مفاخرة دون مبرر شرعي : يتفاخرن في مجالسهن بكثرة المريدات ، حتى أضحت مجالسهن مجالاً للإشادة بجهودهن ، ومحاضراتهن ، أوبصدقاتهن . يعملن ذلك حباً في الظهور ، وذلك محبط للعمل ... وماذا سيكون من تلميذاتهن المستمعات

---

(١) شخصية المرأة المسلمة / ١١٧ .

لهن ، وهن يرين معقد أملهن على ذلك المستوى ؟!

نسأل الله لنا ولهن الإخلاص في القصد والصواب في العمل . وقد قال تعالى: ﴿فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم : ٣٢]

فلم الغطرسة : أهي بالعلم ؟! فقد يكون سبباً في المشكلات والطلاق ، حين يصبح علمها شراً ووبالاً عليها فتفشل حياتها ، إذ يرى منها زوجها امرأة لاتعجبها إلا نفسها وتحتقر حتى زوجها وأهله !

إنها مغرورة بعلمها ، تعتقد أنها دائماً على صواب ، وما على الناس إلا عمل مايحلو لها بل والتفكير كما يروق لها ... وإن أبدى أحد الرأي المخالف لها ، يكون التحجر ثم المشكلات .....

وليس العيب في العلم إنما العيب في نفسها المريضة . وقد قال الغزالي : «العلم كالغيث ينزل من السماء حلواً صافياً تتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة ، والحلو حلاوة . فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر همها وأهوائها ، فيزيد المتكبر كبراً ، والمتواضع تواضعاً . وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل ، فإذا حفظ العلم وجد مايتكبر به فازداد كبراً)[1]

ولم التعالي ؟! أهو بالعبادة ، والله تعالى لايقبل إلا ماكان خالصاً لوجهه ، فكيف تنسى الذنوب وتتعالى على الناس ، هلا حمدت ربها أن ستر عليها العيوب ! هلا حكمت الشرع وروضت نفسها على الإلتزام به ، وإلا كانت متهورة خاسرة ! فالنار موعد المتكبرين ، وذلك هو الخسران المبين : فقد قال عليه الصلاة والسلام : «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[2]

ولم الخيلاء والقبر ينتظرها لتكون جيفة ؟! فلماذا تختص نفسها بامتيازات ؟ إن لم تكرم تغضب ، وإن لم تقدم في المحافل تقاطعها ؟ وإن لم تقم لها الحاضرات

---

(١) إحياء علوم الدين / ٣ / ٥٢٩ .

(٢) رواه البخاري ومسلم – عتل : غليظ جافي فظ – جواظ : ضخم مختال .

في المجلس تتبرم وتمضي الجلسة في ضيق ثم لاتعاود الاجتماع بهن !

ولو كانت حقاً تقية لاستشعرت عظمة الخالق وجلاله وابتعدت عن الكبر والغرور. ولما جلست إلا حيث انتهى بها المجلس ، فلاتزحزح أخرى عن مكانها ، ولقد : «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه»[1] ولوسكن الورع قلبها لاندحر الكبرياء ، ولحل فيه التواضع والسكينة استجابة لقوله تعالى : ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ [الشعراء : ٢١٥]

ولما شمخت بأنفها واعتدت بنفسها ، ولما تفاخرت ولازعمت أنها أهدى من غيرها . بل تلفتت إلى إصلاح معايبها وتحترم صاحباتها ، وترفق بهن . فالمسلمة رحيمة بالمؤمنات ، شفوقة عليهن . رؤفة بالضعيفات :و« **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** » كما جاء في الحديث الصحيح .

فهي لا تتكبر على خادمتها فتعلمها وتوجهها وترشدها وتزرع فيها الفضائل الإيمانية وهذا باب من أبواب الخير فلايفوتنك أختي المسلمة .

وإذا داخل الشيطان نفسها يوماً فإنها تتذكر ماأعده الله للمتواضعة فتطامن من كبريائها ، ولاتشمخ بأنفها علواً وكبراً ، بل تحني هامتها لرب العباد فيندحر شيطانها ، وتصبح هينة لينة من أخواتها وصاحباتها .

* والمتكبرة المغرورة لاتعرف قدر نفسها : فهي حيث وجدت تذكر فضائلها ومابها من نعيم قد تكون صديقتها محرومة منه . وما ذاك إلا لجعل الحسرة تملأ قلبها ! ويخيب رجاء صديقتها حين ترى العلاقات قد تجردت عن الإنسانية ، وانحطت إلى درجات لاتليق . فظهرت الأنا وارتفعت الصداقة والأخوة من خلال البسمات الساخرة ، والكلمات اللاذعة التي تعبر عن احتقارها لصاحبتها وقد فاتها وعد الله تعالى :﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولافساداً والعاقبة للمتقين**﴾ [القصص : ٨٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم – ينظر الترغيب والترهيب ٤ / ١ ٥ .

تلك هي السعادة الحقة ، إنها ليست في العيش الهنيء ، ولاالجاه العريض ، إنها في الإيمان الذي يملأ الجوانح ويعطي الرضى بما قسم الله ، والطمأنينة التي تملأ النفوس : ﴿**ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ [الفجر : ٢٧].

– إمرأة غرة بعدما تزوجت صاحبتها كانت تعيب عليها قلة المهر ، وتتباهى بمهرها الكبير ، أو ماعلمت أن واجبها التناصح ، وأن المغالاة في المهور لو كانت مكرمة لكان أولانا بها الرسول ﷺ فما أصدق نساءه بأكثر من أربعمائة درهم ! فلم التعالي والتغالي ؟! ولم الغطرسة والتجبر ؟!

– وأخرى كانت تفاخر بنفسها لأجل مكايدة ضرائرها . وأحياناً قد تؤدي بها تلك المفاخرة إلى الكذب . فإن كان لديها بقية من ورع لتسمع حديث الرسول ﷺ عن أسماء أنها حدثت أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ فقالت : يارسول الله ، إن لي جارة . فهل عليّ جناح أن أتشبع من زوجي بما لم يعطني ؟ قال : « **إن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور** »(١)

فالمؤمنة لا تنتفش بالباطل أمام أترابها ، أقول ذلك لمن يتشامخن بالأوهام ويتفاخرن بالكذب ، وماأكثر ما تحفل مجالس النسوة بأمثالهن يقلن : زوجي كذا ... وأهلي كذا ....وكله هراء !

– متكبرة أعماها العجب وأصمها الكبر : إذا نصحت اثنت بعطفها تيهاً وغطرسة ، وتكبرت وتعالت .

وإن دُلت على الخير تعجرفت وأبت من الاعتراف بالحق فلم ترعو عن غيها ولم ترجع عن خطئها ولسان حالها يقول :

من فلانة لأسمع لها ؟! ألاتعلم من أنا ومن هي ؟

– كانت غليظة الحس ، كل همها أن تعمل لكسر نفس من حولها ، حتى لو

---

(١) متفق على صحته / شرح السنة / ٩ / ١٦١ / المتشبع بما لم يعط : بمنزلة الكاذب القائل بما لم يكن .

كانت تلك صديقتها !

إنها ترمق غيرها في ازدراء ، تستصغر شأنهن ، ولايعجبها إلا نفسها، لباسها، شكلها ، بل طريقة كلامها وتفكيرها ، فهي تنكر كل فضل لغيرها ولاتعترف به إلالنفسها وماله صلة بها وذلك هو عين الكبر كما بينه الرسول ﷺ وليس الكبر جمال الثوب وحسن المظهر :

« عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

«**لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال : «**إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس** » [(١)]

ولقد حذر ابن القيم رحمه الله من طغيان كلمات ثلاث هي :(أنا ولي وعندي لأن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها ابليس وفرعون وقارون : فأنا خير منه لإبليس ولي ملك مصر لفرعون ، وأنا أوتيته على علم عندي لقارون .

وأحسن ماوضعت أنا في قول العبد : أنا المذنب المخطيء والمستغفر ونحوه .... ولي في قوله : لي الذنب ولي الجرم ولي المسكنة ولي الفقر والذل . وعندي في قوله: اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي). [(٢)]

* وعلى أولياء الأمر تقع مسؤلية كبيرة في تهذيب النفوس التي يخالطها الكبر . وإيقاف كل عند حده فلايتجاوزه . وهذا لاشك يفضي إلى معرفة الفرد حجمه الطبيعي وعدم الإنتفاخ والتعالي :

مما أخرجه البيهقي : أتت علياً امرأتان تسألانه ، عربية ومولاة لها . فأمر لكل واحدة منهما بكُرّ من طعام ، وأربعين درهماً . فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت. وقالت العربية : ياأمير المؤمنين : تعطيني مثل الذي أعطيت هذه ، وأنا عربية وهي

---

(١) رواه مسلم / - بطر الحق : دفعه وانكاره تكبراً . غمط الناس : احتقارهم .

(٢) زاد المعاد / ج ٢ / ٢٧ .

مولاة ؟! قال لها علي رضي الله عنه : إني نظرت في كتاب الله عز وجل ، فلم أر فيه فضلاً لولد اسماعيل على ولد اسحاق عليهما الصلاة والسلام . (١)

* وبالمقابل فالمسلمة تعين أختها فلا تطريها بمدحها بما ليس فيها . فلاتتلقى صاحبتها بالمدح الذي يقوي عندها الهوى ، ويحجبها عن اتباع الحق . إنها وقد جعلت حياتها كلها عبادة : بنيتها الصالحة ، وبحسن الاتباع . فلايسعها إلا الاستجابة لتعاليم الرسول ﷺ :

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ **« ويحك قطعت عنق صاحبك ! ثم قال : إن كان أحدكم مادحاً أخاه لامحالة فليقل: أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً »**(٢)

ذلك أنه قلما يسلم الممدوح من عجب يدخله ، بل قلما يسلم المادح عن كذب يقوله في مدحه .... .

وحيث أن الإطراء والمبالغة في المدح يزيد الغرور . ويمنع المناصحة ، ويكرس الأخطاء فقد كرهه السلف ومما كان يقوله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا مدح : (اللهم لاتؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون) وقال ابن القيم رحمه الله :(لايجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس ، إلا كما يجتمع الماء والنار ، والعنب والحوت) (٣)

إن من تفرح بحمد الناس ، والإشادة بها ، تفتح باب الرياء والمداهنة على مصراعيه :

فهي تعمل لأجل رؤيتهم لها ، ونيل المكانة والاحترام ، والإطراء. وكذلك لاتحظى بمودتها ، إلا من مدحتها . فالمداهنة لها وحدها تحوز الزلفى عندها .

أما المسلمة المعتصمة بأمر الله ، المتبعة لهدي نبيه ، فهي تعطي لكل ذات حق

---

(١) حياة الصحابة / ٢ / ١٠٧ .

(٢) رواه البخاري في الأدب ومسلم في الزهد والرقائق .

(٣) الفوائد / ١٤٧ .

حقها . تعرف الفضل لأهله ، ولاتستأثر به لنفسها أولقومها :

عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت ،فذكرنا نساء الأنصار وفضلهن فقالت عائشة : إن لنساء قريش فضلاً . وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، وأشد تصديقاً لكتاب الله . ولاإيماناً بالتنزيل . لقد أنزلت سورة النور : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ماأنزل الله فيها ويتلو الرجل على إمرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابة . فما منهن إمرأة إلاقامت على مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان) أخرجه أبو داود من غير وجه.(١)

كانت عائشة تقول عن زينب بنت جحش بعد وفاتها :« **لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل** » (٢)

فلا بأس بالمدح على ألا يكون به مبالغة تصل إلى حد الإطراء ، وتثني المسلمة على صاحبتها لقاء المعروف الذي تسديه لها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »(٣) وفي ذلك ترغيب لصانع الخير أن يعاود صنعه . وتحريض للناس على الإقتداء به في ذلك .

كما أن من هدي الإسلام أن المسلمة تقدر الكبيرة وتجلها وترحم الصغيرة وتشفق عليها « **ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر** »(٤)

فتثني عليها أختها بما تعرف من محاسن أخلاقها ، وكريم فعالها ، وتثني على

---

(١) حياة الصحابة / ج ٣ / ٧٦ .

(٢) الإصابة / ٤ / ٣٠٧ .

(٣) صحيح - أخرجه أبو داوود والترمذي / شرح السنة / ١٣ / ١٨٧ .

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه / الترغيب والترهيب / ١ / ٢٠٢ .

أولادها ..... وكل ما يفرحها من غير كذب ولامبالغة .

وماتزال النصوص تنذر المتكبرين بالهلاك : قال عليه الصلاة والسلام : « **ثلاث مهلكات : وهوى متبع وشح مطاع ، واعجاب المرء بنفسه** »(١)

يالسوء عاقبة المتكبرة المغرورة !

لقد شمخت برأسها فهوت ..... وجحدت الحق فأهلكها الباطل ....

٧- البخل والإسراف:

النساء في الإنفاق على مراتب :(*)

- فمنهن من تنفق رياء ومفاخرة ، لايدعوها للإنفاق إلا حبها للظهور ومدح الناس لها وثناؤهم عليها . والرياء محبط للعمل ، بل إن المرائين أول من يلقى بهم في النار كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **إن أول الناس يقضى عليه.... ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به . فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ماتركت من سبيل يجب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار** » (٢)

- ومنهن من تنفق خوفاً من العتب والموجدة ، وأمثالها ، غالباً تتبع ما أنفقت المن المقيت ، لتذل به صاحبتها . لاسيما إن لم تقابل بالمثل ، وإن لم تكافأ لقاء ما أنفقته ، وفاتها قوله تعالى : ﴿**قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم**﴾ [البقرة : ٢٦٣].

---

(١) رواه الطبراني عن أنس وهو حديث حسن / صحيح الجامع الصغير جـ١/ص ٥٨٣.

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي / صحيح الجامع الصغير ١ / ٤٠٤ .

* وقد قال ابن المقفع : الرجال أربعة : جواد وبخيل ومسرف ومقتصد . فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعاً في أمر آخرته ، والبخيل الذي يخطىء واحدة منهما نصيبه . والمسرف الذي يجمعهما لدنياه . والمقتصد الذي يلحق بكل واحدة منهما نصيبها (الأدب الصغير والأدب الكبير) ص ٤٩ .

لذلك كان من الأدب الرباني الذي دعا إليه القرآن الكريم في أوائل مانزل من القرآن ﴿ولاتمنن تستكثر﴾

وقد قال الشاعر :

أفسدت بالمن ماأسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان

– ومنهن الشحيحة التي تبخل بما آتاها الله من فضله ، وتضن بالمال أن تنفقه في الأوجه المشروعة . فهي قد رضيت لنفسها أن تكون أمة للمال فيالتعسها :

« **تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش** »[1]

كانت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفٍ للبخل لو كان قميصاً مالبسته . ولو كان طريقاً ماسلكته . وكانت تقول :

(جعل لكل قوم نهمة وجعلت نهمتي في البذل والعطاء . والله للصلة والمواساة أحب إليّ من الطعام الطيب على الجوع . ومن الشراب البارد على الظمأ)[2] ما أقبح ما تفعله البعض ! تبخل الواحدة في الطعام الجيد أن تقدمه للضيفات ، أو لأهل الزوج ... وهي تعاني من آلام البطنة! وتشكو السمنة !

وقد تأكل وحدها وزميلتها في العمل إلى جوارها ، أو صاحبتها إلى جنبها دون أن تعرض عليها الطعام ، وقد فاتها حديث الرسول ﷺ :

« **طعام الإثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة** »[3] فلو قنعت كل واحدة بما يسد رمقها ، لما أقبلت على الطعام بنهم وشره . ولو رضيت بحد الشبع، لما أتخمت بطنها وتركت الأخرى طاوية . والكفاية تنشأ من بركة الاجتماع فتعم البركة الحاضرات .

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد – تعس : انكب وعثر .

(٢) صفة الصفوة / ٢ / ٢١٠ .

(٣) رواه البخاري ومسلم / الترغيب والترهيب / ١ / ١١٢ .

ولقد كرم الله المسلمين بأن جعلهم أصحاب مثل عليا، وقيم سامية ونعى على المشركين بقوله :

﴿ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ [محمد : ١٢].

– امرأة ملهوفة كانت تطلب الدواء ، تدعو لمن تعينها ، وتترقب من صاحبتها النجدة ، وتطمع في مساعدتها ، ولكن لاحياة لمن تنادي !

لقد اطمـأنت أخت الأمس للحيـاة الدنيـا . ولم تتطلع إلى الآخرة ، فشحـت نفسها ... أما علمت أن الله الذي بسط عليـها الـرزق قـادر أن يمحق بركتـه وأنه قـادر أن يجعله في تلك المسكينـة ، وأن الشح مؤشـر لضعف الإيمـان ؟! قـال تعالى: ﴿والشيطان يعدكم الفقر﴾

فالشحيحة قد أطاعت شيطانها ، فأمسكت يدها وامتنعت عن الإنفاق . فخدمت المال بدل أن يكون خادمها ، فزرعت بذلك عداوتها في القلوب .

وما نكبة المسلمة إلا امتحان لضمائر المسلمات ! وما حاجتها إلاشكوى صارخة من التقصير ....

وإني لأتساءل كم من المسلمات يؤرقهن حال أخواتهن فيتعاون مع صاحباتهن لعمل ملابس تسترهن وإرسال طعام يسد رمقهن ويقيم أود أبنائهن ؟!! وقد قال بعضهم(١) إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها ، فذكره ثانية ، فلعله أن يكون قد نسي ، فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية : ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ [الأنعام : ٣٦]

– **أما المسرفة** : التي تنفق بغير حساب ، وفي غير موضعه المناسب ، فهي من إخوان الشياطين كما قال تعالى ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ [الإسراء : ٢٧]

إن التنافس لأجل المظاهر وزخرفة البيوت حتى لو أدى ذلك إلى الاستدانة ، هو إسراف وتبذير محرم .

وما يُدفع للمطربات في الحفلات من مال ونحوه .... هو إسراف وتبذير محرم .

(١) إحياء علوم الدين ج ٢ / ٢٧٣ .

وعمل الجفان الكبيرة التي تفيض عن إشباع حي بأكمله . والضيفات لايتعدين أصابع اليد ، هو إسراف وتبذير محرم ، ومباهاة مقيتة .

– تلك التي تعمل الطعام الذي لايلزمها ، وتلقي أضعاف حاجتها في القمامة . أما تذكرت تعب زوجها ؟ ومايعانيه في الكسب ؟ إنها لوكانت تحبه حقاً لما أقدمت على ذلك !

ولو كانت تحب الله الذي غمرها بنعمه ، ونهاها عن إضاعة المال لما عملت ذلك !

– ولو علمت تلك التي ألبست المغنية ، يوم عرس ولدها عقداً من اللؤلؤ مكافأة أي إثم تجره على نفسها ، وأي قدوة شيطانية تقوم بها ، لو علمت ما ينتظرها من العقاب ، لبكت وبُكي على تصرفها وضيق أفقها ، بدلاً من أن تملأ الزغاريد الجو آنذاك .

ومن الغرائب أن الحابل اختلط بالنابل ، حيث أن كثيراً من الدعاة والداعيات ينسون أنفسهم في مثل هذه المناسبات ، ولا يختارون إلا أغلى الصالات وأكثرها ترفاً ويتسابقون في البذل والإسراف ومسكينة هذه الدعوة كم تُحمل منهم الغث والسمين !

وإني لأعجب كيف يبحث من أثخنته الجراح عن طبل وزمر بدل أن يبحث عن ضماد ودواء وكيف يبحث من أعياه المرض عن أثاث ورياش بدل أن يبحث عن طبيب ومستشفى ؟

وكيف لنسائنا أن تبحث عن آخر خطوط الموضة ويغرقن في التفاهات ، وهن يرين أمتنا المنكوبة تتوالى عليها الضربات ؟!

ويتهافت عليها الأعداء كما تتهافت الأكلة إلى قصعتها ؟ ويرين الأجسام العارية إلا من الأسمال البالية ، ويسمعن عن الأعراض المهانة ...؟! أما إنهن لو تصورن الواقع لعلمن أنهن في ميدان المعركة لاحولها .

وهل تتحمل إحدانا مجرد التفكير في أن تصبح من المشردات أوالسبيات ! لا

أرانا الله ذلك اليوم .

ولاأسمعنا بأمتنا إلا كل مافيه عزة الإسلام والمسلمين .

ومن النساء : **الجوادة الكريمة** التي لا تضن بالمال ، بل تنفق منه بسخاء وإخلاص لاتبتغي إلا وجه الله تعالى .

تتحرى الفقيرة فتعينها ، والأرملة فتحسن إليها . تعطف على البائسة وترفق بالمحرومة لاتعظم الدرهم والدينار . ولاتهمها المظاهر الزائفة والقيم العرضية الزائلة . فإن كانت أمام بريق المعدن الخلاب ، علمت أنه المحك لها والاختبار لصلابة دينها . فلا يخلب لبها بريقه . بل تقدم ببشاشة ومودة ما تقدر عليه . ولاتمسك يدها عن معروف لتكون ممن قال تعالى فيهم : ﴿**الذين ينفقون في السراء والضراء**﴾ [آل عمران : ١٣٤].

لاتجعل ماعندها حكراً عليها وحدها . فإن كانت أختها في ضائقة تعينها ولو بالفائض من ملابسها . أما أن ترفل في زينتها ، وتثقل جسمها بأنواع الحلي والمجوهرات . وأختها في أزمة مالية دون أن تساهم في إزالتها ، بل تقابل حاجتها بالإعراض واللامبالاة ، فهذا ليس من خلق الإنسانية فضلاً عن الإسلام .

الإنسانية تتميز بالرحمة ، حتى صارت هذه الكلمة ترادف الرفق والتعاطف والتراحم .

الصاحبة الصالحة : تنفق في الأوجه المشروعة ، فلايبطرها الغنى ، ولايقيدها الشح تنفيذاً لأمره جل وعلا :﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيراً**﴾ [الإسراء : ٢٦] والضابط في ذلك كله هو الحد المشروع والتوسط والإعتدال: (فالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود).[١]

ويؤكد ابن القيم رحمه الله هذا المعنى بقوله :« للأخلاق حد متى جاوزته صارت

---

(١) إحياء علوم الدين / ٣ / ٤٠٣ .

عدواناً ومتى قصرت عنه كانت نقصاً ومهانة فللغضب حد وهو الشجاعة المحمودة ... وللحرص حد ... وضابط هذا كله العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط ، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة)[١]

* ومما يؤسف لنا أننا نلمس التنافس العجيب في البذل نجد مظاهر البذخ والترف جنباً إلى جنب مع الشح والتقتير .

لاتظنني أختي المسلمة أن في ذلك مبالغة . بل هو الحق بعينه . بذخ في الأفراح واللباس والمظاهر . وشح عن الصدقات والإنفاق في الأوجه المشروعة .

- سخاء المرأة ، قد يبلغ حد الإسراف مع صديقاتها ، وشح هالع مع أهل الزوج وأوجه الخير عموماً !

- بذل بدون حساب لأهلها ، وتقتير مع أصحاب الحقوق ، أين الإعتدال ؟!

- وهذه ظواهر سلوكية مهلكة للفرد والمجتمع . تتلف مال الفرد ، وثروة الأمة ، وتوغر الصدور وتؤدي إلى الحقد والحسد عند الطبقات المحرومة . وذلك يفسد الأخوة والصحبة .

ولو اتخذت المرأة المسلمة قدوة لها من أمهات المؤمنين ، لكان لها رأي آخر في الإنفاق ، ولصلحت تصرفاتها المالية :

عن أم درة خادمة عائشة رضي الله عنهما قالت : (أتيت عائشة بمائة ألف ، ففرقتها ، وهي يومئذ صائمة . فقلت لها : أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه ؟! فقالت : لو كنت ذكرتني لفعلت). [٢]

لقد أنسى أم المؤمنين كرمها وجهاً للبذل أن تؤخر درهماً تشتري به ما تفطر عليه ! فالسخاء والكرم والبذل في سبيل الله من مظاهر الإسلام التي تمثلتها المسلمات عموماً وأمهات المؤمنين على الخصوص :

---

(١) الفوائد / ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) الإصابة / ٤ / ٣٥٠ .

عن برة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء ، أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني ! قالوا : هذا كله لك . قالت : سبحان الله !

واستترت منه بثوب . وقالت ضعوه واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لي : « ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان ......)[1]

هكذا يدفع أم المؤمنين إيمانها لأن تحس بتبعة المال ، وأنه عبء تريد الإنتهاء من وضعه في مكانه المناسب .

رضي الله عنها مفزع اليتامى والأرامل ، ورضي الله عن أمهات المؤمنات قدوتنا في الكرم والعطاء.

* المؤمنة تكرم الضيوف فتجود بما يتيسر ولاتبخل بما عندها أن تقدمه لضيوفها . تعمل ذلك قياماً بواجب شرعي لانافلة ولاحسب المزاج . لقوله ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة .والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقة .ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه»** [2]

ولقد سئل مالك عن معنى الحديث فقال :(يكرمه ويتحفه يوماً وليلة ، وثلاثة أيام ضيافة . يتكلف له في اليوم الأول بالبر والالطاف . وفي اليوم الثاني والثالث يقدم له ماحضره ولا يزيد عن عادته ... ولايحمل أهل المنزل ذنوباً فربما قصروا في واجبه . أو اغتابوه ، أو أظهروا له الفتور من أعماله، أوكلفهم فوق طاقتهم فغضبوا .... وهكذا من الخواطر الشيطانية التي يحركها الشيطان)

وليس من الكرم أن تذهب المرأة يومها وبعض ليلها في عمل ألوان الطعام والشراب وماذاك إلا لأن صاحبة عزيزة ستأتي عندها ، وهي تخشى أن تنتقدها إن لم تقدم لها كما كانت قد قدمت لها من قبل . أو تخشى غضبها أو عتبها . وكان

---

(١) حياة الصحابة / ٢ / ٢٢٥ .

(٢) رواه / مالك والبخاري ومسلم وغيرهم : / الترغيب والترهيب ٣ / ٢٧٠ . لايثوي : لايقيم حتي يشتد على صاحب المنزل. والحرج : الضيق ومعناه : لايحل له أن يقيم من غير استدعاء منه حتى يضيق صدره فيطل أمره .

الفضيل رحمه الله يقول : (إنما تقاطع الناس بالتكلف . يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له ، فيقطعه عن الرجوع له).[1]

وهذا ما هو شائع عند كثير من الناس ، حتى صار الأخيار يتباعدون عن المتكلفين رغم حبهم لهم . إلا أنهم لا يرحمون أنفسهم ولا أسرهم ولا حتى ضيفهم! لأن الضيف يشعر بثقل ضيافته عندما يحس بإرهاق أهل المنزل جهداً وإنفاقاً .

تنفق بإذن والديها ، فذلك من البر بهما وعدم العقوق .

وإن كانت ذات زوج فتنفق بإذن زوجها ، فلا يترك الواجب لأجل عمل المستحب، وإن أنفقت باعتدال وبغير إفساد للمال ، شاركها زوجها في الأجر :

عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال : « **إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً** » متفق عليه .

ولما بايع الرسول ﷺ النساء قامت امرأة جليلة كأنها من نساء مضر ، قالت : يارسول الله ، إنا كلٌ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا ، فما يحل لنا من أموالهم ؟ قال: «**الرطب تأكلنه وتهدينه** » [2]

وذلك لسرعة الفساد إليها ، دون اليابس الذي يبقى على الإدخار .

(والمسلم يحس بآلام إخوانه ولذلك فمن الواجب عليه أن يقتصد في مطالب نفسه حتى لاتستنفد ماله كله . فإن عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله ويجعل في ثروته متسعاً يعين به المنكوبين ويريح المتعبين)[3] والإسراف طبع ذميم فكم من الأمم البطرة قد دمرت ؟!

– ومن تقنع باليسير لم يستعبدها أحد . فكم من أمة أسرفت ثم هوت ......؟!

– ومن اعتادت النفقة الواسعة ، طلبتها ، فإن لم تكن عند زوجها وأبيها فماذا

---

(١) إحياء أمور الدين / ج ٢ / ص ١٧ .

(٢) أخرجه أبو داوود واسناده جيد / ينظر شرح السنة ٦ / ٢٠٥ .

(٣) خلق المسلم / ١٤٥ .

سيحصل ؟

قد تختلف مع زوجها فيكون الطلاق ! وقد تختلف مع أبيها فتكون الفضيحة ! وقد تكثر من الشكوى فتكون الشماتة !

– وقد تقول أخرى : مالي وللمال ؟ إني أنفق كل ماأجده ولا أدخر شيئاً . نقول لها : وماذا عن قول الرسول ﷺ : «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»(١)

أليس في المال استغناء عن الناس ؟ إنه يغني عن حاجة اللئام ، ويعين على الطاعة و« **نعما بالمال الصالح للرجل الصالح** » (٢) كما ذكر المصطفى ﷺ .

فإنفاقه على الوجه المشروع ، يطهر القلب ويزكي النفس ، وينفع الآخرين . وبه توصل الرحم ، وبه تكون الصدقات ، وقد تكون به صدقة جارية تبقى لما بعد الموت.

ورحم الله سفيان الثوري حين قال:

« كان المال فيما مضى يكره ، فأما اليوم فهو ترس المؤمن » (٣)

قال هذا رغم ماعرف عنه من زهده وورعه .

وماأحسن ما قال الشاعر في المال :

إن الكريم الذي لامال في يده   مثل الشجاع الذي في كفه شلل
والمال مثل الحصى مادام في يدنا   فليس ينفع إلا حين يرتحل

وهكذا :

فالمرأة التقية ، تحرص على الإعتدال وتعظيم النعمة وإن دقت ، تنظر أن المال وسيلة لاغاية ، فليس جمعه وتكديسه غاية الأماني .

إنها تطعم ولاتحرم ، تبذل ولاتبخل ، تنفق ولاتقتر ، تقتصد ولاتهدر في

---

(١) متفق عليه ورواه مالك وأحمد / صحيح الجامع الصغير ١ / ٩١ ٥ .
(٢) أخرجه أحمد وإسناده حسن / شرح السنة ١٠ / ٩١ .
(٣) سير أعلام النبلاء / ٧ / ٢٤١ .

التفاهات . بعيدة عن الرياء الذي يمحق الأجر . بعيدة عن التباهي الذي يوغر الصدور . تتعامل ببساطة لئلا تقطع الأواصر بسبب التكلف الثقيل .

أما إذا قل الزاد وقحط المنزل فإنها تتحمل شظف العيش قانعة راضية بما قسم الله . وتحفظ كرامتها وتصون وجهها عن ذل السؤال .

فلها نفس عزيزة لاتهينها في تحصيل المال . ولها كرم أصيل يدفعها إلى البذل والسخاء . اللهم إنا ندعو كدعاء الملائكة إذ يقولون : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً . ونستعيذك مما استعاذ منه رسولك :« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال[1] .

---

(٣) متفق عليه / صحيح الجامع الصغير / ١ /٢٧٧ .

الفصل الرابع

إصلاح ذات البين

١- أهمية الإصلاح في شيوع المودة .

٢- المسلمة تصلح بين صديقتها وزوجها بالنصح والمشورة .

٣- أهمية السماحة في حفظ المودة .

٤- كظم الغيظ والبعد عن المماراة والجدال .

كنا قد عرفنا في الفصول السابقة ، صفات الصاحبة الطيبة ، وما ينبغي أن تكون عليه من خلال حميدة ، ومزايا فاضلة .

وصواحب خلاف هؤلاء ، يتميزن بأخلاق سيئة ، ويجدر بالمؤمنة أن تبتعد عنهن، إذا تعذرت سبل الإصلاح ......

ورغم هذا وذاك وتبقى من السنن الاجتماعية كما قال تعالى :

﴿ **وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [ص : ٢٤] (ويبقى الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لاتستكثر من نفسك الفضل ولامن أخيك التقصير)(١)

ومعلوم أنه :

صديق بلا عيب قليل وجوده	وذكر عيوب الأصدقاء قبيح

ولذلك قال الشاعر:

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى	فبه اليدين قرير العين فاشدد

ومن هنا نرى أنه لابد أن تقوم المسلمة بواجب الإصلاح بين الأخوات إذا وجد ما يعكر الصداقة . فتصل ماانقطع من حبل المودة . وبذلك تستمر الصحبة الطيبة، ويسود التفاهم بين أفراد المجتمع.

١- أهمية الإصلاح في شيوع المودة:

فمن أدب الصحبة ، الدعوة إلى الوئام والمحبة بين المسلمات ، وإن حصل الخلاف والشقاق بين إحداهن والأخرى ، سارعت المسلمة إلى رأب الصدع وإزالة الجفوة ، والمصالحة بينهما وقد قال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾ [الحجرات : ١٠] وإن حصلت الوحشة المؤرقة بينها

---

(١) إحياء علوم الدين / ج ٢ / ٢٩٣ .

وبين صاحبتها ، فلاتدع للشيطان عليها سبيلاً ، فهي تدرك أن الشيطان يسر بالتحريش بين المؤمنين : عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ، ولكن في التحريش بينهم**»[1] فإذا نزع الشيطان بينها وبين إحدى المسلمات ، وإذا أغرى بالقطيعة وتغيير القلوب ، عملت جهدها ليحل الصلح محل القطيعة ، والمحبة بدل الكراهية ، والصفاء بدل الجفوة .

تستميل القلوب بحنكتها ، وسلامة نيتها ....

– قد تعرف من نظرات صاحبتها أنها معاتبة ، فيها الفتور والإنكسار ، فتبادر إلى الاعتذار ، وتوضيح ماقد خفي على أختها .

– وقد تجدها ثائرة غاضبة ، فتعرف بثاقب نظرها ، وعميق نضجها ووعيها ، أن صاحبتها تحتاج إلى من تسمعها لالمن تخاصمها ، إلى من تمتص نقمتها لالمن تجابهها ....

وبكل رحابة صدر تلقي لها السمع وتتفهمها ، وتحاول أن تقنعها ... وبذلك تطمئن نفسها ، فلاتندم على كلمة تقولها ، أو عمل تعمله فتتحسر على فعلته .

المسلمة الصالحة تتحرى الصواب وتجتهد في عمله ، وإن أخطأته فنفسها اللوامة تدعوها للرجوع عنه ، وعدم التمادي فيه . بل والاعتذار عنه أيضاً . إنها تحاسب نفسها بدل أن تحاسب غيرها فهي تسأل :

ماذا أردت بكلامي ؟ ولم عملت هذا العمل ؟

تتهم نفسها أولاً فتختصر طريق العداوة !

وليس للصديقة بعد ذلك أن تلومها على غلط ، أو تعنفها وتقاطعها لأجله . بل تساعدها لتوضيحه ، وتشفق عليها ، وتحرص على هدايتها ، وتنصحها بكل رفق . فإذا زل اللسان ، لايعشي بصرها الغضب . بل تفيء إلى نفسها وتندم على مابدر منها وتعتذر .وتقبل أختها عذرها ، فإذا بالمتخاصمتين تعتنقان بعضهما فرحاً

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي / والتحريش : إيقاع الخصومة .

بعودة المياه إلى مجاريها ، والود إلى ماكان عليه ، عذباً صافياً حلواً بين الصديقات .

ولو رد أي شجار إلى كتاب الله وسنة نبيه ، لما وجدنا هناك أي اختلاف ولأطفئت نار العداوة والبغضاء ، وتفيأ الجميع ظلال الصلة والوداد . وفي المجتمع نجد للمؤمنات الصالحات ، مساعي دؤوبة في إزالة الخصام ، وجمع الشتات ، إنهن يعملن على إصلاح فساد القلوب ، وإزالة مابها من حقد وضغينة .

هذا دأبهن إلى أن يرين المختلفات وقد أصبحن متوادات متحابات ، بعد ماكن متنابذات متجافيات . يتطلعن إلى ثواب أفضل من ثواب الصيام والصدقة والصلاة مصداقاً لحديث الرسول ﷺ : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ؟**» قال : قلنا بلى . قال : «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة**» (١)

والمسلمة عضو فعال في المجتمع الإسلامي الكبير ، إنها ليست هامشية فيه بل هي إيجابية بناءة وليست سلبية بل داعية للخير ولوحدة المجتمع ولرأب الصدع فيه أنّى وجد . تعمل لتؤلف بين قلوب المسلمين وتصلح ذات بينهم .

إلى متى تبقى القلوب مقفلة أمام المسلمات ؟!

إلى متى تحدث الوحشة بين الصديقة وصديقتها ، وليس ممن حولها إلا اللامبالاة ؟ وكان الواجب عليهن السعي لإقامة الصلح مكان القطيعة ، قبل أن يستفحل الشر ويتسع الخرق على الراقع - كما يقال - فتطيش العقول وتكثر الأخطاء ... وبالتذكير بالله وبحق الصحبة ، ومحبة الصاحبة لها ... فإذا بالصاحبة قد انبسطت أساريرها بعد أن كانت ترغى وتزبد . وتمد يدها مصافحة مسلمة بعد أن كانت مصرة على القطيعة والهجران .

والمسلمة أوابة إلى الحق لاتصر على قطيعة ولاتحرص على هجر أختها ....

---

(١) رواه أبو داوود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد / ينظر شرح السنة / ١٢ / ١١٦ .

(المسلمة التي صاغ مشاعرها الإسلام ، وهذب نفسها هديه الحكيم لاتقيم على قطيعة أخت من أخواتها مهما كانت الأسباب . بل تسارع إلى مصافاتها والتسليم عليها . وإنها لتعلم أن خيرهما التي تبدأ بالسلام . فإن ردت أختها تحيتها اشتركت كلتاهما في أجر المصالحة . وإن لم ترد عليها فقد برئت المسلمة من إثم القطيعة والهجر ، وباءت الممتنعة عن رد التحية وحدها بالإثم . وهذا ما أرشد إليه الإسلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«لايحل لرجل أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث فإذا مرت ثلاثة أيام فلقيه فليسلم عليه . فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد بريء المسلم من الهجر»**(١).

٢: تصلح بين صديقتها وزوجها بالنصح والمشورة :

إذا رأت صديقتها وقد غلت دماؤها غيرة من ضرتها أو حماتها أو غيرهما ... كانت لها صديقة صدوقة، وبرة بها شفوقة . وبادرت لتقف إلى جانبها، تعينهابالرأي الصائب لتنجو من وخزات الغيرة الأليمة التي تحوك في صدرها . ومن خيالات فاسدة يلقيها الشيطان ، قد يكون فيها الخسران حين تسرف في الملامة والتعذيل ، أو حين يصبح زوجها موضع نقمتها .

فإذا بها وقد ذكرتها بما لها وما عليها ، أن لها المودة والرحمة ، وعليها واجب حفظ الزوج واحترام القوامة .

عندها تصبح قانعة راضية . مطمئنة وادعة . بعيدة عن كل حقد وضغينة وكل مامن شأنه أن يحطم بيتها وينغص عيشها .

- إذا علمت فرك المرأة لزوجها تدعوها إلى طاعته ، تذكرها بالله ووعد الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** »(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد / شخصية المرأة المسلمة للهاشمي / ٢٧٦ .

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح والترمذي في الرضاع .

– وإن وجدت منها كثرة المطالب ، تتلطف في الدخول إلى قلبها وإقناعها . تحدثها عن نماذج خيرة من الزوجات ، لتقتفي أثرهن ، فلا تجد نفسها نشازاً في المجتمع . تحدثها كم مسلمة تقاسي الحياة ، وتعاني من الرزق ، لكنها تعرف أنها إنما دخلت بيت زوجها لتجاهد ولتكون رفيقة له . فهي تجد اللذة في رضى الله . وتعبد الله بأن تؤدي حق الزوج . فإذا بها تجعل من بيتها واحة نضرة رغم كل قحط .

– وإن وجدت من جليستها طفولة التفكير ، والتعنت في الدلال والغنج ، عند ذلك تستثير عندها كوامن الغيرة ، تذكرها بحديث الرسول ﷺ : عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لاتؤذيه قاتلك الله . فإنما هو عندك دخيل ، يوشك أن يفارقك إلينا** » (١)

– وإن شكت صديقة لصديقتها من نفور زوجها :

تقدم لها الجرعة المناسبة لحالتها، وتعطيها العلاج الذي قد يزيل عنها مرارة العيش ، فإن وجدتها لا تهتم بالمظهر . ذكرتها بواجبها في النظافة ، من نظافة اللباس وعدم إهمال السواك ، وكذا النظافة فيما يخص المرأة عادة . ونحو ذلك من الآداب . وفي واقعنا نسمع العجب العجاب عن محاولات ساذجة للإصلاح : تدعو المرأة صديقتها لحمل خرزات لجلب الحظ ! وقد تدعوها لعمل السحر... لاتستغربي ذلك أختي المسلمة ! ولا تقولي نحن في عصر العلم ، فكيف يحصل هذا ؟

إن الثقة بالعرافين والسحرة لاعلاقة لها بذلك . فقلة إيمان المرأة بالله تجعلها تلغي عقلها ، وتتبع هواها وترضى به أن يسيرها إلى الهاوية !

* وفي مجالس النسوة ينهال السخط على الرجل الذي تزوج بزوجة أخرى ، ويحملن على التعدد الذي أباحه الشرع . وبدل أن يكون وجودهن محضر خير ،

---

(١) رواه أحمد والترمذي وهو صحيح / ينظر صحيح الجامع الصغير / ٢ / ٧٠٢١ .

ينقلب الأمر ، فتعلم الواحدة الأخرى تعليمات شيطانية :

- انفقي ما في جيب زوجك ، وبعثري أمواله فلن يتزوج غيرك !

- نغصي حياة زوجته الجديدة !

- اعملي لزوجك المقالب ! وغير ذلك من التعليمات الشريرة ...

والمسلمة التقية لاترضى لنفسها أن تكون من أعوان إبليس الذين يتباهى بهم ، وهمهم عمل الدسيسة بين الأزواج :

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إن **إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة . يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ماصنعت شيئاً . ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبينا امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت فيلتزمه»** رواه مسلم .

ولعل في قصة أبي مسلم عبرة تبين مدى تأثير الإفساد بين الأزواج ، ومدى خطورته على المجتمعات : «كان أبو مسلم إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه فدخل يوماً فإذا البيت ليس فيه سراج . وإذا امرأته منكسة تنكت بعود معها فقال : مالك ؟ قالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم . فلو سألته فأخدمنا وأعطاك ! فقال : اللهم من أفسد علي امرأتي فاعم بصره . وكانت قد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت : زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل من معاوية أن يُخدمه ويعطيه عشتم ! قال : فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها ، إذ أنكرت بصرها فقالت : مالسراجكم أطفيء ؟ قالوا : لا ، فعرفت ذنبها . فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها ، ويرد عليها بصرها ، قال : فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فرد عليها بصرها» (١)

دعوة مثل دعوة أبي مسلم الخولاني على كل امرأة تفسد جليستها عن زوجها وتزرع البغض ، وتسعى لتحطيم الأسر وتشريد الأطفال . دعوة نرجو الله أن يستجيبها حتى لا تبقى مفسدة تعرف طريقها إلا تحسساً .

(١) صفة الصفوة / ٤ / ١٤٤ .

٣- أهمية السماحة في حفظ المودة:

المسلمة تحترم المبادىء التي تدعو لها ، وتصبر على تحمل الأذى في سبيل إصلاح ذات البين . فإن وجدت من أختها الخطأ ، فهكذا النفس البشرية قاصرة ، فيها الضعف وفيها النقص ، تدعوها إلى الوصول إلى أقصى كمال ممكن . أما العصمة من الخطايا فذلك أمر متعذر .

ولذلك مدح الرسول ﷺ الذي يخالط الناس ويتحمل آذاهم لإشاعة النصح ونشر الفضيلة بقوله : « **والمسلم الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على آذاهم**»(١)

فتفسح صدرها لصديقتها ، تغض الطرف عن عثراتها ، وإلا فالشد والجذب يؤدي إلى النفور والشقاق وقد حرم ذلك الدين الإسلامي .

أما التسامح فهو يطفيء الضغينة ، ولرب كلمة طيبة سمحة أطفأت جذوة الغضب واستلت سخيمة النفوس ، وأزالت حمى الكراهية وقد قال تعالى : ﴿**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ [فصلت : ٣٤] فبالسماحة ولين الجانب ينمو الحب ، وبحسن التعامل تسكن العداوة وتهدأ النفوس . والمسلمة التقية تتسامح مع صاحباتها وتعفو عن أخطائهن .

حتى مع الضرائر ، فتعاملهن بكل سمو نفس وكرم خلق اقتداء بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن : عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دعتني أم حبيبة رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ - عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا مابين الضرائر . فغفر الله لي ولك ماكان من ذلك فقلت : غفر الله لك ذلك وحللك عن ذلك فقالت : سررتني سرك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك»(٢) والمسلمة إذا أعتدي عليها ، فإنها تقبل العذر وتترفع عن الغل والحقد ، وتطوي صفحة الماضي وتبحث عن المزايا في صديقتها ، وتبتعد عن جرح كرامتها :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) الإصابة ٤ / ٣٠٠ .

« أتت جارية صفية أم المؤمنين لعمر فقالت : إن صفية تحب السبت وتصل اليهود . فبعث إليها فسألها عن ذلك فقالت : أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة . وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ماحملك على هذا ؟ قالت : الشيطان . قالت : فاذهبي فأنت حرة» [١]

يالرحابة الصدر ، وحصافة العقل ، وقوة الإيمان عند أم المؤمنين رضوان الله عليها حسبها الاقتداء بالرسول ﷺ : ما انتقم لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى) رواه البخاري ومسلم .

وقد قال : «**مازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**»[٢]

حسبك أختي المسلمة التأسي بهم وكذا بالسلف الصالح أمثال عمر رضي الله عنه القائل : (رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي).

وحسبك التأسي بالنساء الفاضلات أمثال زبيدة (رحمها الله) فقد بلغ بها السمو والفضل أن قالت للمأمون (وهو ابن هارون الرشيد زوجها) قالت له عند دخوله بغداد : أهنيك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل أن أراك . ولئن كنت قد فقدت ابن خليفة (الأمين ابنها) لقد عوضت ابن خليفة لم ألده وماخسر من اعتاض مثلك ، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجراً على ماأخذ وإمتاعاً بما عوض)[٣]

وبالنفوس الكريمة السامية تسمو المجتمعات ويعلو شأنها .

ولاخير في صحبة من لايقبل معذرة ولايقيل عثرة . وأينما كانوا يكثرون العتب والمحاسبة ولو لأقرب الناس إليهم . وكأنهم لايصلحون للصفاء ! لايصلحون إلا للعتاب وإشعار من معهم أنه في تقصير دائم . فهم أ بداً إما عاتبون أو غاضبون ممن يعاشرهم .

---

(١) الإصابة / ٤ / ٣٢٩ .

(٢) رواه مسلم في البر والصلة .

(٣) البداية والنهاية / ١٠ / ٢٧١ .

يجعلون من الحبة قبة – كما يقال – ويضخمون حتى الهفوات الصغيرة .

وكم تكون الصدمة كبيرة ، عندما لاتقبل الصديقة الاعتذار ولاتقدر الظروف ! إننا كمسلمات يجب أن نطلب المعاذير لأخواتنا ، بل ونفرح إذ عرفنا السبب لنتعامل معهن برضى نفس وسلامة صدر . فتتآلف النفوس ، وترتاح القلوب . وإلا، إذا تكدرت النفوس ، وأضرم الكمد في القلوب ، وحل الحقد محل الوداد حرمت الصاحبات حتى من النوم الهنيء ، ومن التمتع بمسرات الحياة ، وتصبح كل منهن كئيبة متحفزة تنتظر الساعة التي تستطيع أن تصب فيها جام غضبها على صديقة الأمس !

هذا وكما نريد العفو والصفح عن الخطأ ، نرغب في الاعتذار عنه إن وقع ، فذلك يذهب ما بالنفس من أدران .

أختي الفاضلة :

هنيئاً لمن منحها الله الخلق الحسن ، والإيمان الراسخ ، فلا يستفزها الغضب ولا تستثيرها العجلة ....

هنيئاً لمن نالت رضى الله ورضى الخلق بحسن التحمل والتروي والحلم .

هنيئاً لمن كانت تعامل غيرها بنفس سوية ، وروح محبة رضية . تغض الطرف عن السقطات وتقبل العذر عن الهفوات ....

٤- كظم الغيظ والبعد عن الجدال

لابد من احتمال الأذى !

لابد من الصبر على تجهم الصديقة ، وعلى وحشة وجفوة حصلت منها ، وعلى قالة سوء وصلتنا ، أو ألفاظ نابية سمعناها .

نصبر ونحتسب ، ونترك للصلح موضعاً ، ونتجاوز عن الخطيئة .

والمسلمة الأوابة ، إن غضبت كظمت غيظها ، وذكرت الله القوي الجبار ، وهو الحليم الغفار الداعي إلى كظم الغيظ بقوله : **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾** [آل عمران : ١٣٤] لقد اغتاظت عائشة أم المؤمنين من خادم لها ثم رجعت إلى نفسها وقالت : « لله در التقوى ، ما تركت لذي غيظ شفاء »

إنها ابنة الصديق رضي الله عنهما ، وتربية الرسول ﷺ ، وقد سمعها مرة تدعو على سارق سرقها قال : « **لا تسبخي عنه بدعائك عليه** »(١)

فالصاحبة التقية ، إذا ساءها وغمها ماتسمعه من كلام تفوهت به صاحبتها ، فإنها تهزم شيطانها وتحمي نفسها . وإن حرش الأعداء بينهما وتنمروا لرؤية الفتن تشتعل ، خابوا وخسر سعيهم لأنها تعلم أنه « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »(٢) كما جاء في الحديث الصحيح .

ثم إن (الغيظ وقر على النفس حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ودخان يغشى الضمير...... فأما حين تصفح النفس ويصفو القلب ، فهو الانطلاق من ذلك الوقر، والرفرفة في آفاق النور ، والبرد في القلب والسلام في الضمير)(٣)

الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة . وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد . ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد)(٤)

ودواؤه الصبر والعفو والحلم . والاستعاذة من الشيطان استجابة لقوله تعالى : **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾** [الأعراف : ١٩٩-٢٠٠].

وقد قيل : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة / لا تسبخي : أي لاتخففي عنه .

(٢) حديث متفق على صحته .

(٣) في ظلال القرآن / ١ / ٤٧٥ .

(٤) إحياء علوم الدين / ٣ / ٢٥٦ .

والمسلمة العاملة بأحكام دينها ، تقمع هواها فتبعد عن الحقد الرخيص . وما حالة الغضب إلا محك لمعرفة تقوى الله ، ومدى الإلتزام بالشرع .

وتضبط لسانها وجوانحها حتى تستقيم تصرفاتها .....

أما ما تتباهى به البعض ، فإذا نُصحت تقول : « أنا لاأصبر على الأذى . أنا لاأستطيع التحمل !

ثم تتمادى في غيها ، ويعميها الغضب ويصمها وينسيها ماكان بينها وبين أختها من صلة ووداد . تنسى حق الأخوة وحق الصحبة وحق الإسلام ..... وقد تنسى أيضاً معه حق القرابة والرحم .

وكلما وعظت تزداد غضباً . وفاتها أن واجبها أن تكظم غيظها وتحتسب أجرها، وتسيطر على انفعالاتها وتبقي على حبل الأخوة .

فلاتعصف بها نزوات الغضب ، ولاتعرض عن أختها أو تقاطعها لأدنى هفوة . أما إذا وجدت استهتاراً بالقيم الإسلامية ، واستهزاء بتعاليم هذا الدين ، أوتساهلاً في العمل بأحكامه ، فلا بد من الغضب لله .

فتبعد عنها ، والبعد عن أمثالها غنيمة - كما يقال - إنه هجر لاحظ للنفس فيه وإنما حرص لإبعادها عن الهلاك . ولايكون إلا لمن أظهرت المعصية ، أما السرائر، فالله وحده المتكفل بالمحاسبة عليها .

ويختلف الهجر باختلاف الهاجرين وقلتهم وكثرتهم . فإن كان الهجر يضعف الشر كان مشروعاً ، وإلا فلا .

وقد نبه شيخ الإسلام في فتاويه على ذلك : بأنه إن كان المهجور لايرتدع بذلك ولايرتدع به غيره : بل يزيد الشر والهاجر ضعيف ، وتكون مضرة الهجر راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، كما كان الهجرلبعض الناس أنفع من التأليف . ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً

ويهجر آخرين)[1].

وقد هجر رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها لمدة شهرين وبعض الثالث لما قال لها :« **تعطي صفية ظهراً ، لما اعتل بعيرها** » . فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية !)[2].

وينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله ، وبين الهجر لحظ النفس فالهجر لحق الله تعالي مأمور به والثاني منهي عنه .

أما الإفراط في الجدل :

فخلق ذميم وهو من أشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الأخوات . ذلك أن التقاطع يقع أولاً بالآراء ثم بالأبدان .

وقال عليه السلام : «**لاتدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يحرمه ولا يخذله ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه مسلم.

وأشد الإحتقار المماراة : فإن رد على غيره كلامه ، فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ماهو عليه . وكل ذلك استخفاف وإيغار للصدر وإيحاش ..... وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان . وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة .

وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله . وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل ، ولامعنى للمعاداة إلا هذا »[3].

والمراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في

---

(١) الفتاوي لابن تيمية / ج ٢٨ / ٢٠٤ – ٢٠٧ .

(٢) ذكره أبو داوود / زاد المعاد / ٢ / ٢٧ .

(٣) إحياء علوم الدين : ٢ / ٢٨٠ .

المعنى ، وإما في قصد المتكلم .

فكل كلام سمعته فإن كان حقاً صدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه)[1].

والمجادلة : قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه . ونسبته إلى القصور والجهل . والباعث على هذا هو الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه)[2].

ولنذكر عند مخالطة الناس ، أن اختلاف وجهات النظر بينهم ، وتباين الآراء أمر طبيعي . على أن يبقى الإحترام المتبادل هو السائد . فلا نسفه رأي صاحبتنا، ولانكثر من إبداء نقاط الضعف فيها . ونبعد عن الجدل العقيم . والتشنج المقيت حرصاً على إبداء الرأي . وليكن همنا ليس الغلبة والانتصار بل ندور مع الحق كيف دار ، ونفرح بمعرفة الصواب ولو كان من غيرنا . إن كثرة الخلاف في الآراء، وكثرة الجدال تؤدي إلى الصدام وتكرس البغضاء والمشاحنة .

ويا للأسف ، ما نجده بين كثيرمن الصاحبات ، يبدأ الحوار بينهن لينقلب من اعتراض على الرأي . إلى انتصار كل لرأيها وتسفيه غيرها . وقد يثور الشجار بينهما ، وقد تنسى الواحدة نفسها . فإذا باللسان الذرب يتفلت بأقسى الألفاظ ، وترتفع الأصوات ويزيد الصراخ .....

ثم تشغل الواحدة منهن فكرها بالمهاترات ، في كل أوقاتها ، حتى في أوقات الصلاة فإنها تخطط لغلبة الأخرى وإفحامها ! مما يشوش عليها صلاتها ... فما كان أغناها عن ذلك ! ما كان أغناها أن توحش صاحبتها وتؤذيها بما ينغص عليها وعلى أختها عيشهما معاً .

لذلك وحتى تصفو العبادة لله ، كان النهي عن الجدال في الحج أكثر تأكيداً قال تعالى : ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [البقرة : ١٩٧].

(١) إحياء علوم الدين : ٣ / ١٨٦ .
(٢) إحياء علوم الدين : ٣ / ١٨٧ .

وذلك حيث تزيد المشقة ، وتكثرالأمور المشتركة مع الصحبة ، وهذا كله مظنة اختلاف الآراء ، والحاجة إلى التوصية بمزيد من ضبط النفس وعدم الجدال . وقد أرسى القرآن الكريم قواعد الجدال المشروع حتى مع أهل الكتاب قال تعالى : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهكذا :

فالصاحبة التقية لاتتمسك برأيها وتحاول أن تفرضه وفي اعتقادها أنها لاتخطيء ، أو أن الإصرار على الرأي رغم الخطأ ، فيه كرامتها وعزتها .....فذاك فيه قصور نظر ، ومن أنماط التفكير الخاطئة .

ولكنها وهي التي لامس الإيمان شغاف قلبها ، إن نصحت : تنصح دون إثارة لغيرها ودون تسفيه لرأيهن ومهاجمة لهن .

وإن نُصحت : تتقبل الرأي المخالف ، دون ثورة بل بتفهم ورحابة صدر. فالإخلاص لله رائدها ، واحتساب الأجر منه وحده همها . والفرح بمعرفة الصواب من أي طريق كان غاية جهدها . فالخلاف في الرأي يجب أن لايفسد الود ، ولا يكون سبباً في العداء ، فلا تختلف القلوب ولو اختلفت الآراء ، وتبعد جهدها عن الجدال الذي لاطائل تحته ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : «لا تمار سفيهاً فيؤذيك ولا حليماً فيقليك»(١).

أختاه : هلمي إلى بيوت في جنات عدن !

وما أيسر ذلك على من يسره الله عليه : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً . وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً . وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(٢).

---

(١) إحياء علوم الدين / ٥ / ٢٧٩ .

(٢) رواه أبو داوود واللفظ له والترمذي وقال حديث حسن / الترغيب والترهيب / ١ / ٤٠٦ . زعيم : كفيل - ربض : ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدينة وتحت القلاع .

أختي التي لا أنسى مودتها :

كوني متسامحة واسعة الصدر ، فسيحة الأناة . تعرف كيف تدخل القلوب وتبحث عما يجمع الكلمة لاما يمزقها .

فالمؤمنة المصلحة بارعة الحيلة في المداراة والتلطف ، فيها الحكمة والحلم ، لا النزق والجهالة . لقد تمكن منها الخلق الحسن فجعلها تغض الطرف عن العثرات ، ولاتصغي إلى الأراجيف ، لذا فهي ترتاح إذ تعيش قريرة العين ، هادئة البال ، بلامشاكل . وترتاح معها من تخالطها ، وتشعر كل منهما بالطمأنينة والسكينة والمحبة ترفرف عليهما بظلالها الندية .

أعاننا الله وإياك على تأدية مطالب ديننا ، والقيام بأوامره ، واجتناب نواهيه . ففيه الخير كل الخير. وفيه ازدهار مجتمعاتنا المسلمة . تقبل الله منا ومنك وألهمنا الرشد والصواب . والحمد لله رب العالمين .

الخاتـمة

الحمد لله الذي وفقنا وهدانا بالإسلام . وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة .

وبعد :

الموفقة للخير من وهبها الله الرفيقة الصالحة ، فأحسنت انتقاءها ، ومن مكنها من المحافظة عليها فأدت إليها حقها في الصحبة . فكسبت بذلك ثقتها واحتفظت بمودتها .

والمسلمة التقية تقوم بواجبها ، ولاتألوا جهداً لأداء حق الصحبة فتسعد وتسعد صاحبتها برفقتها .

إنها تذكر بالله رؤيتها ، وتزيد في العلم مجالستها ، تتسابق لفعل الخيرات وتتنافس لعمل الطاعات .

تتواكب مع الطموحات التي تتطلع إليها أمتنا المسلمة ، فهي رائدة لكل هدى وصلاح . بعيدة عن السخف والتهور والمهاترات المجوجة . تستفيد من كل رأي صائب ، فالحكمة ضالتها المنشودة ، وفيها نبل المقصد والبعد عن الأهواء المضلة .

يجللها الحياء ويصونها عن اجتراء السفهاء وأعين لصوص الأعراض ، فيها القرار في المنزل ، وعدم الصخب في الأسواق .

رسمت من رزانتها صورة المرأة المسلمة الناضجة .

وبالطيب مجلسها : إنها طيبة الكلام تبعد عن الغلظة وكل مافيه لؤم وخسة . إنها طيبة اللقاء ، هاشة باشة ، مرحة باتزان ، لاتثقل على صاحبتها بالمزاح المؤذي . ولاتوحشها بالكلام القاسي البذيء ، ولاتؤذيها باللهو الماجن .

تتجشم المشاق وهي راضية ، وتقابل حوادث الدهر بنفس مطمئنة . ولاتهلع نفسها عند أدنى مصيبة .

تقدر الهدف وعظمة الرسالة ، فلا تفتر عزيمتها ، ولايفل صبرها ، فلاتداهن

الكافرات أو داعيات الانحلال أياً كان مركزهن .

إنه مجلس محترم تحفه الملائكة !

لاتدنسه بشتم الخدم أو غيرهن ، ولاتسمح أن تتخلله الغيبة فضلاً عن السخرية. ولاتكثر النقد ، بل تتغاضى جهدها عن الهفوات . أما إذا رأت صاحبتها وقد ظهر منها شيء مما حرمه الشرع ، علمتها ، وسددت الخلل ، ورغبتها في الخير ، برفق وتؤدة وبحكمة وموعظة حسنة .

إنها تشارك الصاحبة في مشاعرها . ففي أفراحها تبثها التهاني وتتقدم لها بالهدايا المناسبة .

وفي أحزانها ، تواسيها وتشد أزرها . وإن احتاجت إلى مساعدة تهب لنجدتها، فهي سخية النفس بعيدة عن الشح بعدها عن الإسراف والترف .

لاكبر يطغيها ، ولاخيلاء تصدها ، فهي متواضعة خفيضة الجناح ، لكن عندها عزة الإيمان ، تصونها عن طمع المحتالين وسخرية الحاقدين . عزة تحذرها من عواقب المعاصي التي أقل مافيها تنكيس الرأس من العار الذي يلاحق العاصيات !

لله درها من صاحبة مسلمة . صديقة صدوقة وأخت برة شفوقة . ويالهناءة من تلك صاحبتها !

ويالشقاوة من حرم أمثالها ! فبأمثالها تدوم المودة ، وتبنى المجتمعات . وتعيد لأمتنا أمجادها العريقة نبلاً ووفاء ، عزة واستقامة ، قوة وتقدماً وليس ذلك على الله بعزيز .

المراجع

القرآن الكريم.

الأدب الصغير والأدب الكبير :لابن المقفع تحقيق د . انعام فوال – دار الكتاب العربي بيروت / ط ١/١٤١٤.

الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني – دار الكتاب العربي / بيروت .

الإفادة لما جاء في المرض والعيادة : للهيثمي تحقيق د . عبد الله نذير أحمد . مكتبة الهداية بيروت / ط١ / ١٤١٣ .

أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام : محمد الناصر – دار الرسالة – مكة المكرمة / ١٤١٣ .

إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي مع تخريج الأحاديث للعراقي : دار الحديث / القاهرة /ط١ /١٤١٢ .

البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير – دار الفكر– ١٣٩٨ .

الترغيب والترهيب : الحافظ زكي الدين المنذري ، مطابع قطر الوطنية / ط٣ .

تربية الأطفال في رحاب الإسلام : محمد الناصر وخولة درويش / دار السوادي / ط٢ .

التربية والتحدي (التجربة اليابانية) : د . ميري هوايت تعليق د . كوثر كوجك ود . سعد مرسي .

تفسير البغوي : تحقيق النمر وضميرية والحرش – دار طيبه / الرياض .

حياة الصحابة : الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي / تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة – دار القلم دمشق ودار المنارة جدة .

خلق المسلم : محمد الغزالي – دار القلم – دمشق الدار الشامية بيروت / ط١٢ / ١٤١٦ .

زاد المعـــــاد : الحافظ ابن القيم الجوزية – دار الفكر .
الزيارة بين النســاء على ضـوء الكتـاب والسنة : خـــولة درويش / ط٣ / السوادي للنشر والتوزيع / جدة .
سنن أبي داوود : دار الحديث – حمص – سوريا .
سلسلة الأحاديث الصحـيحة : الشـيخ ناصـر الدين الألبـاني – المكتب الإسلامي .
السلوك الاجـتماعـي في الإسلام : حـسن أيوب – دار الندوة الجـديدة – بيروت .
السيرة النبوية : لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه ط٢ / ١٩٥٥ .
سير أعلام النبلاء : للذهبي / مؤسسة الرسالة ، بيروت .
شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة : د . محمد علي الهاشمي . دار البشائر الإسلامية – بيروت ط٣ / ١٤١٦ .
شرح السنة : الإمام البغوي : تحقيق الشاديش والأرناؤوط – المكتب الإسلامي – بيروت / ط٢ / ١٤٠٣ .
شـرح صحـيح مسلم : للإمـام النووي ، نشـر وتوزيع إدارة البحـوث العلميـة والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .
صحيح الجامـع الصغير : مـحمد ناصر الدين الألبـاني / المكتب الإسـلامي بيروت ودمشق / ط٢ / ١٤٠٦ .
صفة الصفوة : الإمام ابن الجوزي – دار الفكر / بيروت – ط١ / ١٤١٢ .
صيد الخاطر : الإمام ابن الجوزي – دار الكتاب العربي بيروت / ط٤ / ١٤١٢ .
الفتـــــاوى : لابن تيمية ترتيب عبد الرحمن بن محمد القاسم اشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .
فتح البـــاري : لابن حجر العسقلاني – طبعة دار الفكر .

الفوائـــــد : ابن القيم الجوزية – دار الراية للنشر – ط١ – ١٤١١ .
المرأة بين الجاهلية والإسلام : محمد الناصر وخولة درويش / دار الرسالة / مكة المكرمة الطبعة الأولى .
مسند الإمام أحمد : توزيع دار الباز مكة المكرمة ط٢ .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة الإسلامية / استامبول .

المحتويـات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول :	٧
آثار الصحبة بين النساء :	
١- ترابط الجماعة المسلمة .	٩
٢- صحبة الفضليات دواء .	١٤
٣- الصحبة السيئة شر داء .	٢٠
٤- الحب في الله من دعائم الإيمان .	٢٦
٥- من صفات الصديقة الفضلى .	٣٢
الفصل الثاني	
من حقوق الصحبة في الإسلام	٣٥
المبحث الأول : حق الصاحبة مطلب شرعي	٣٧
المبحث الثاني : كيف تدخلين السرور على قلب أختك المسلمة ؟	٤١
١- مراعاة آداب الحديث وإتقان فن الكلام .	٤٣
٢- اتقان الآداب الشرعية والمجاملات المباحة .	٤٥
٣- إفشاء السلام والدعاء للأخوات .	٤٥
٤- التشميت عند العطاس وآداب أخرى .	٤٧
٥ - مع أطفال صاحبتها .	٥٠
٦ - المجاملة لاتكون على حساب الشرع .	٥١
٧ - الالتزام بمكارم الأخلاق .	٥٢
المبحث الثالث	
آداب الزيارة بين الصديقات :	٥٧

١ – الاعتدال في المخالطة وضوابط ذلك . ٥٩
٢ – تحسن استقبالها حسب المشروع . ٦٤
٣ – الاستفادة من أوقات الزيارة . ٦٥
٤ – العيادة عند المرض والمواساة عند النوائب . ٦٦
٥ – التعزية عند الموت والآداب الشرعية . ٦٨
٦ – المشاركة في السراء والضراء : ٧٢
– المساعدة عند الضائقة . ٧٢
– التبشير بالخير والتهنئة بــه . ٧٦
– الهدية بلا تكلف . ٧٨
– الغناء للعروس . ٨٠
٧ – إشاعة الأنس بالنكتة الطريفة والمزاح الوقور . ٨١
المبحث الرابع
التعاون على البر والتقوى : ٨٥
١ – التناصح في تربية الأولاد . ٨٦
٢ – المساعدة في قضاء الحوائج بالمال والجاه . ٨٧
٣ – التعليم . ٨٨
٤ – إنكار المنكر مع مراعاة آداب الإنكار . ٩٠
■ – المشاركة في تضميد الجرحى ، والتبرع لصالح الجهاد
في سبيل الله . ٩٦
٦ – الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . ٩٧
الفصل الثالث :
من خوارم الصحبة : ١٠٣
١ – آفات اللسان وكشف الأسرار . ١٠٥
٢ – الفحش والبذاءة . ١٠٨
٣ – الخصام والسباب . ١٠٩

٤ - الاعتداء على حرمات الصديقة . ١١٢
٥ - الغيبة والنميمة والحسد . ١١٨
٦ - الكبر والمباهاة . ١٣٠
٧ - البخل والاسراف . ١٤١
الفصل الرابع
إصلاح ذات البين ١٥١
١ - أهمية الإصلاح في شيوع المودة . ١٥٣
٢ - تصلح بين صديقتها وزوجها بالنصح والمشورة . ١٥٦
٣ - أهمية السماحة في حفظ المودة . ١٥٩
٤ - كظم الغيظ والبعد عن المماراة والجدل . ١٦١
الخاتمة . ١٦٩
المراجع ١٧١

صدر للمؤلفة الكتب التالية

١ – الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة – مكتبة السوادي – جدة .

٢ – تربية الأطفال في رحاب الإسلام – مكتبة السوادي ، بالإشتراك مع الأستاذ محمد الناصر .

٣ – القلب العامر وقصص أخرى – الأولى / دار طيبة – الرياض ، الثانية : دار الرسالة – مكة المكرمة .

٤ – حكايات أطفالنا في رحاب الإسلام / ثلاث مجموعات قصصية

أ – غرفة الحارس وقصص أخرى .

ب – فائز أم محظوظ وقصص أخرى .

ج – البطر يذهب النعم وقصص أخرى ، دار طيبة ودار الرسالة .

٥ – إليك أختي المربية : دار طيبة الرياض ، ودار المحمدي جدة .

٦ – سلسلة الأسرة المسلمة – نشر دار الرسالة ، صدر منها :

أ – التربية في ظلال الإسلام .

ب – أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

ج – ألعاب الطفل المسلم .

٧ – سلسلة الأسرة المثالية – نشر دار المحمدي جدة ، صدر منها :

أ – الزوجة المثالية

ب – البنت المثالية .

ج – السلوك المثالي للطفل المسلم .

٨ – القرآن الكريم معلمي : منهج لتعليم الطفل وتهذيبه وتسليته . دار الطرفين / الطائف .

٩ – المرأة بين الجاهلية والإسلام ، بالإشتراك مع الأستاذ محمد الناصر – دار الرسالة – مكة المكرمة.

١٠ – الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام مشترك مع الأستاذ محمد الناصر – دار عالم الكتب بالرياض .

١١ – تربية المراهق في رحاب الإسلام . رمادي للنشر – بالإشتراك مع الأستاذ محمد الناصر .

إصدارات

دار المحمدي للنشر والتوزيع

م	الكتاب	المؤلف	السعر	ملاحظات
١	إليك أختي المربية	خولة درويش	٢ ر.س	نفد
٢	بدع القراء	بكر عبد الله أبو زيد	٣ ر.س	
٣	مسابقات الناشئة ج ١	عبد الرحمن المحمدي/ عمار شاولي	١٢ ر.س	
٤	مسابقات الناشئة ج ٢	عبد الرحمن المحمدي	١٢ ر.س	
٥	مسابقات الناشئة ج ٣	عبد الرحمن المحمدي	١٢ ر.س	
٦	مجالس النساء ج ١	عبد الرحمن المحمدي	١٠ ر.س	
٧	مجالس النساء ج ٢	عبد الرحمن المحمدي	١٠ ر.س	
٨	العقد الفريد من الأناشيد	عمار سامي شاولي	١٠ ر.س	
٩	تأملات في رحاب البيت العتيق	محمد حامد الناصر	١٠ ر.س	
١٠	للحق والحقيقة من كلام سيد الخليقة	عبد الرحمن الدوسري تحقيق مصطفى الشلبي	١٧ ر.س	
١١	الاستعاذة	عبد الرحمن الدوسري تحقيق مصطفى الشلبي	٣ ر.س	نفد
١٢	الزوجة المثالية	خولة درويش	٣ ر.س	
١٣	الزوج المثالي	محمد رشيد العويد	٤ ر.س	
١٤	السلوك المثالي للطفل المسلم	خولة درويش	٤ ر.س	
١٥	البنت المثالية	خولة درويش	٥ ر.س	
١٦	الصوفية في ميزان الكتاب والسنة	محمد جميل زينو	٣ ر.س	

م	الكتـــاب	المـؤلــف	السعــر	ملاحظات
١٧	من البطل	عبد اللطيف بن هاجس الغامدي	٣ ر.س	
١٨	أنت طالق	عبد اللطيف بن هاجس الغامدي	٢ ر.س	
١٩	على مفترق الطرق	عبد اللطيف بن هاجس الغامدي	٣ ر.س	نفد
٢٠	حتى يكون الزواج سكناً	محمد رشيد العويد	٦ ر.س	
٢١	حوار مع أختي الزوجة	محمد رشيد العويد	٥ ر.س	
٢٢	أختاه لمثل هذا فأعدي	مجدي فتحي السيد	٢ ر.س	
٢٣	منظومة في أصول الفقه وقواعد فقهية	محمد بن صالح العثيمين	١ ر.س	
٢٤	العقود الذهبية في شرح السبل السوية لفقه السنن المروية	أحمد بن عبد الله محمد	١٥٠ ر.س	نفد
٢٥	أمالي الدلالات ومجال الاختلافات	عبد الله الشيخ المحفوظ	٣٥ ر.س	٦/١
٢٦	حوار هادىء مع طالب يرغب في النجاح	طلال الصوفي	٢ ر.س	
٢٧	كيف ندعو الله	صالح أحمد الغزالي	٢ ر.س	
٢٨	شهادة الإسلام	محمد بن جميل زينو	٣ ر.س	
٢٩	كشف الإلباس عما صح وما لم يصح عن قصة الخضر أبي العباس	أحمد فتحي عبد المقتدر، تقديم الشيخ أبو بكر الجزائري	١٤ر.س	
٣٠	المفكرة الذهبية	مجدي عبد الباقي	١ ر.س	
٣١	الحج والعمرة وصايا وتحذيرات وأخطاء وفتاوى	أبو حسان الحربي	٢ ر.س	
٣٢	تعرف على حبيبك	جاسم محمد المطوع	٥ ر.س	
٣٣	تعرف على حبيبك	جاسم محمد المطوع	٣ ر.س	
٣٤	حقائق لكل رجل مهم وكل امرأة مهمة	مجدي سيد شريف	١ ر.س	
٣٥	الصحابيات وأحداث السيرة	محمد حبيب الله الشنقيطي	٥ ر.س	

م	الكتــــاب	المـؤلــف	السعــر	ملاحظات
٣٦	كشف الغمة عن نساء الأمة	مجدي فتحي السيد	٢ ر.س	
٣٧	انتبه قبل الرحيل والوداع	فايز بن سالم السهلي	٢ ر.س	
٣٨	مشكلات تواجه الشباب	فريد أحمد العجرفي	٣ ر.س	
٣٩	الإسلام هو الحق العلماء يشهدون	مجدي عبد الباقي شريف	٢ ر.س	
٤٠	أناشيد الشقائق	فاطمة عبد الله باسعد	١٠ ر.س	
٤١	خطط لمستقبلك	جاسم محمد المطوع	٨ ر.س	٢٢ x ٢٩
٤٢	خطط لمستقبلك	جاسم محمد المطوع	٤ ر.س	١٤ X ٢٠
٤٣	نصيحة في التعامل	محمد حبيب الله الشنقيطي	٢ ر.س	
٤٤	معاني كلمات القرآن	محمد حبيب الله الشنقيطي	٥ ر.س	مجلد
٤٥	بستان الأناشيد	عادل سالم بارباح	١٠ ر.س	

المملكة العربية السعودية ـ جـدة ـ حي الجامعة شارع عبد الله السليماني

هاتف: (٦٨٩٧٥٠٩) ـ فاكس: (٦٨٠٢٦٠٤) ـ ص.ب.: ٩٣٤٧ جـدة ٢١٤١٣